المخرج الصوتي وأثره في الدرس اللغوي

الدكتور

السيد محمد علي نصر الدين

مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

إذا كانت لغتنا العربية قد تميزت بمميزات كثيرة، منها ثبات أصولها، ومناسبة ألفاظها لمعانيها، وكذلك مناسبة أبنيتها لمعانيها، فإن من أهم الخصائص التي تتميز بها العربية التناغم بين أنظمتها المختلفة، ما بين صوتي وصرفي ونحوي ودلالي؛ ذلك التناغم الذي يجسده في أبهي صوره من مبحث (مخارج الأصوات)، ومن هنا فقد راقني أن أتناول موضوع: (المخرج الصوتي وأثره في الدرس اللغوي) بالدراسة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث: أن يقع في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

اشتمل التمهيد على الحديث عن الصوت والمخرج الصوتي.

المبحث الأول: تناولتُ فيه مخارج الأصوات بين القدامى والمحدثين.

المبحث الثاني: تحدثت فيه عن أثر المخرج الصوتي في الظواهر الصوتية.

أما **المبحث الثالث:** فقد ألقيتُ فيه الضوء على أثر المخرج الصوتي في الظواهر الدلالية.

<u>هذا وقد تمخض البحث عن عدة نتائج منها:</u>

١- لم يكتف الخليل بن أحمد بتصنيف الصوامت، طبقًا للمخرج، وإنما طبقًا للحيز.

٢- للمخرج الصوتي أثر ظاهر في تحقق الكثير من الظواهر اللغوية.

٣- أكد البحث على ميل العربية في معظم ظواهرها على التخفيف.

Summary

The Phonic Production and Its effect on Linguistic Study

Our mother tongue "Arabic" is characterized by many advantages "merits" such as the Stability of its bases.

Its Words also suit its meanings. Its Structure suits meaning.

The most important Features that distinguish Arabic are the harmony among its different styles (systems), linguistics grammatical, Phonic and Indicative.

This harmony is best embodied in its awesome appearance in the Field of articulation of sounds. So, I Preferred to discuss the Phonic Production and its effect on the linguistic Study.

The nature of this research required it to be divided into an introduction, Preface and three researches.

The Preface includes information about voice and Phonic Production.

The first research: I introduced a comparison between the old and the modern in dealing with Phonic Production.

In The second research, I talked about the effect of the phonic Production and its effect on the phonic Phenomena.

The third research, I shed light on the effect of the Phonic Production and indicative Phenomena.

This research has some results such as:

1- El.Khalil Ibn Ahmed classified consonants not only according to their Production but also according to their Production but also according to size.

2- The Phonic Production has a clear effect on carrying out a lot of Linguistic Phenomena.

3- The research confirmed the tendency of Lightness.

مقـــدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان. وأرسل رســول الهــدى والرحمة محمدًا بأقدس كتاب وأبلغ بيان والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وإمام المتقين؛ سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آلــه وصــحابته الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فإذا كانت الدراسة الصوتية تمثل اللبنة الأولى في الدرس اللغوي فإن المخرج الصوتي يمثل واحدًا من أهم المباحث في الدرس الصوتي؛ لما لــه من أهمية كبيرة في الدراسة اللغوية بعامة، وفي الدراسة الصوتية بخاصة.

وبعد رحلة ليست بالقصيرة قضيتُها بين سطور كتــب اللغــة التــي أفصحت عن خصائص ومميزات لغتنا العربية الجميلة من ثبــات أصــولها، ومناسبة ألفاظها لمعانيها، وكذلك مناسبة أبنيتها لمعانيها -فالأبنية والصيغ الصرفية فيها تجيء دالة على المعنى المنوط بها- ودوران المــادة حــول معنى واحد، وكونها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات، كما تميزت العربية على غيرها من الساميات بقدرتها على التصرف في الأساليب والعبارات، وعلى التنوع في التراكيب وذلك بحسب المقام.

ومما تميزت به اللغة العربية على أخواتها الســاميات علــى وجــه الخصوص غناؤها بالألفاظ والمفردات العربية الأصــيلة، التــي اســتوحاها العرب من البيئة التي عاشوا بين أحضانها ولم يقتبسوها من غيرهم.[١]

(١) فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموها د/ صلاح رواي، صـــ ١٢٨- صـــ ١٤٤، دار الهاني للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

فأردت أن أضيف إلى هذه الخصائص ميزة ربما غابت عن الباحثين والدارسين، وهي التناغم بين أنظمة اللغة العربية المختلفة ما بين صوتي وصرفي ونحوي ودلالي، ذلك التناغم الذي يجسده في أبهى صوره مبحث مخارج الأصوات، ومن هنا فقد راقني أن أتناول موضوع: «المخرج الصوتي وأثره في الدرس اللغوي» هادفًا الكشف عن أثره العميق في تحقق الظواهر اللغوية بدءًا بالظواهر الصوتية، مرورًا بالظواهر الصرفية وانتهاءً بالظواهر الدلالية؛ إذ هو المفسر لبعض الظواهر اللغوية مثل: الإبدال، وفتح الأحرف الحلقية الساكنة، وحسن تأليف الكلمة، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، فضلا عن دوره الجوهري في تحقق البعض الآخر منها مثل: الإدغام، والمماثلة الصوتية، والإدغام الشمسي والإظهار والإخفاء والمماثلة الجزئية «الإقلاب» والقياس «والتعريب».

هذا وقد دفعني إلى البحث في موضوع: المخرج الصوتي وأثره في الدرس اللغوي ثلاثة أسباب:

١- أهمية دراسة المخرج الصوتي لما له من دور جوهري في تحقق الظواهر اللغوية.

٢- إبراز التناغم والانسجام بين أنظمة اللغة العربية المختلفة ما بين صوتي وصرفي ونحوي ودلالي.

٣- التأكيد على ميل العربية في معظم ظواهرها إلى التخفيف، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقع في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

تحدثت في **المقدمة** عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطتي فيه.

واشتمل **التمهيد** على الحديث عن الصوت والمخرج الصوتي وأهميته عند علماء اللغة.

المبحث الأول: مخارج الأصوات بين القدامى والمحدثين:

تناولت فيه تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي مخارج الأصوات، ومخارج الأصوات عند ابن جني، ومخارج الأصوات عند المحدثين، والأساس الذي بني عليه تصنيف مخارج الأصوات، وملاحظات على مخارج الأصوات عند علماء العربية.

المبحث الثاني: أثر المخرج الصوتي في الظواهر الصوتية:

تحدثت فيه عن أثر المخرج الصوتي في تحقق الظواهر التالية: الإبدال- فتح الأحرف الحلقية الساكنة- الإدغام- المماثلة الصوتية- الإدغام الشمسي- الإظهار- الإخفاء- الإقلاب «المماثلة الجزئية»- حسن تأليف الكلمة.

المبحث الثالث: أثر المخرج الصوتي في الظواهر الدلالية:

ألقيت فيه الضوء على أثر المخرج الصوتي في الظواهر التالية: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني- القياس- التعريب.

وقد دعمت هذا البحث بخاتمة، بينتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث، والله من وراء القصد.

المبحث الأول

مخارج الأصوات بين القدامى والمحدثين

الصوت: الأثر السمعي الذي ينشأ من اتصال جسم بآخر، أو هو الحدث الذي يختص السمع بإدراكه، وينشأ من التقاء جرمين أحدهما بالآخر.

والمراد بالأثر السمعي أو الحدث الذي يختص السمع بإدراكه:

تلك الظاهرة الطبيعية التي هي عبارة عن الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقيين، وتنتقل خلال الوسط الناقل للصوت

– كالهواء – في شكل موجات متتابعة حتى تصل إلى أذان السامعين، فإذا انعدم هذا الاهتزاز أو تلك الذبذبات انعدم السمع أو فني الصوت.(١)

ومن الثابت صوتيًا أن عملية إنتاج الصوت اللغوي تمر بمراحل تتمثل فيما يلي:

١– تيار التنفس الناتج عن عملية الشهيق.

٢– اعتراض هذا التيار بواسطة النواطق في موضع معين من جهاز النطق.

٣– اهتزاز الوترين الصوتين أو عدم اهتزازهما.

يضاف إلى ذلك الرنين الذي يحدث أو الذي يصحب بعض الأصوات سواء في التجويف الفمي أو الأنفي أو الصدري، وينتج عنه تلوين الصوت وتضخيمه. ولكن هذه الثلاث ينسق بينها ويهيمن عليها المخ البشري

---

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، ص٢٥،٢٦ ، مطبعة الجبلاية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

بواسطة إشارات وتعليمات يرسلها عن طريق الجهاز العصبي إلى أعضاء النطق أو إلى جهاز السمع.

ويتمثل ذلك كله في الشكل الآتي:

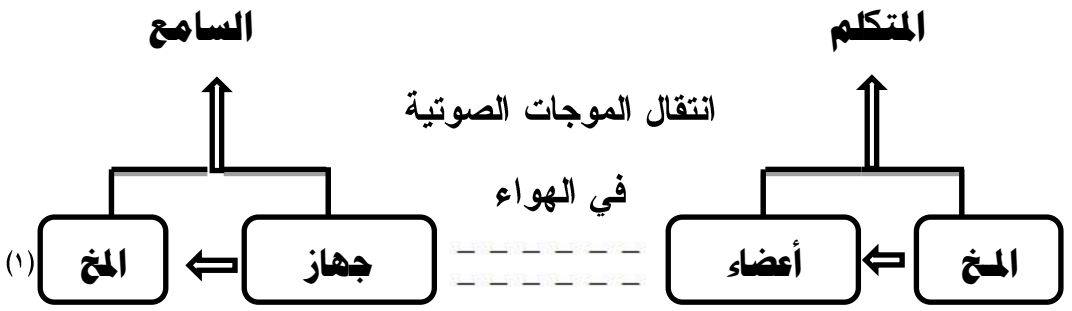

(١)

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الخليل بن أحمد قد عرف مرحلتين من مراحل إنتاج الصوت، وهما: تيار النفس والاعتراض[٢]، ومن ثم كان اهتداؤه إلى مَخْرج الحرف، فالمَخْرج هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج[٣] الموضع الذي يحدث فيه العارض الذي يمنع الصوت من الامتداد والاستطالة.[٤]

ولذا فاختلاف الأصوات اللغوية ينشأ عن تنوع اختلاف المخرج واختلاف درجات الاعتراض للهواء المصاحب للصوامت أو عدم الاعتراض مع الصوائت، يبدو ذلك واضحًا فيما تتخذه أعضاء النطق من أوضاع معينة

---

(١) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص١١، ١٢ دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية الطبعة الأولى ١٩٨٨ بتصرف.

(٢) السابق، ص١٢ بتصرف يسير.

(٣) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، التركي للطباعة – طنطا، ص٧٥.

(٤) التفكير الصوتي عند الخليل، د/ حلمي خليل، ص٢٥.

عند نطق الصوت اللغوي، الأمر الذي نتج عنه الفروق الصوتية بين الصوامت من جهة وبين الصوامت والصوائت من جهة ثانية.(١)

كما أن التدخل الذي تقوم به الأعضاء الصوتية العليا يحدث غرف رنين مختلفة الأحجام والأشكال، وبالتالي تكون مختلفة الدرجة حسب كل تدخل. وتقوم هذه الغرف بعمليات الرنين والترشيح والتقوية.(٢)

والتي تكيف درجة الموجات الخارجة من الفم وسعتها.(٣)

أهمية المخرج الصوتي

للمخرج الصوتي أهميته عند علماء اللغة قدامي ومحدثين، فإثبات المخرج للصوت هو العلامة الفارقة عند الخليل بن أحمد وعند علماء الأصوات المحدثين بين الصوامت والصوائت vowels؛ لأن علماء الأصوات يحددون الصوت الصامت بأنه الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضًا كليًا أو جزئيًا.(٤)

---

(١) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص١٠٦، مكتب الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

(٢) عملية الترشيح هي نفسها عملية الرنين ولكن إذا لم ينقل الصوت الناتج عن الرنين لا يسمى ترشيحًا، أما إذا نقل فإنه يكون ترشيحًا أو رنينًا منقولا إلى محيط آخر غير المحيط الذي يحدث فيه الصوت الأصلي.

ـ وعملية التقوية عملية رنين أولا ثم عملية أخرى بعد ذلك، هي انتشار الموجات في جسم الغرفة الرنانة، ثم اصطدامها به واكتسابها قوة جديدة من هذا الاصطدام تسبب زيادة اتساعها وبالتالي علوها. ينظر: أصوات اللغة د/ عبد الرحمن أيوب، ص١٢٠، ١٢٢ مطبعة: الكيلاني، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

(٣) السابق، ص١٢٥.

(٤) علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران، ص١٦٠، دار المعارف – الإسكندرية ١٩٦٢م، والتفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل ص٢٣.

وأما الصوائت vowels فلا اعتراض لمجرى الهواء فيها. أو هي كما قال الخليل هوائية. ومعنى هذا أن الخليل عندما قسم الأصوات إلى صحاح ذات مخارج، وهوائية لا مخرج لها، كان يدرك بدقة أن الفرق الحاسم بين الصوت الصامت والصوت الصائت يتمثل في اعتراض مجرى الهواء أو عدم اعتراضه.

وبناء على هذا المعيار أخذ يصنف الصوامت، أي الصحاح طبقًا لمخارجها.(١)

مخارج الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفًا: منها خمسة وعشرون حرفًا صحاحًا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة، والهمزة وسميت جوفًا؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيرًا: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء.(٢)

تصنيف الخليل للأصوات الصامتة

جاء تصنيف الخليل للمخارج على النحو التالي:

أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين؛ لقرب مخرجها من العين. ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء لأشبهت

(١) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل ص٣٤.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي ٥٧/١ دار ومكتبة الهلال، دت.

الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد، كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه.(١)

واللافت للنظر في ترتيب الخليل لمخارج الحروف أنه لم يكتف بتصنيف الصوامت طبقًا للمخرج، وإنما صنفها أيضًا طبقًا للحيز، والحيز عنده هو الفراغ الذي يشغله صوت الحرف في الحلق والفم.

فمن الأصوات ما ينطبق حيزها على مخرجها لا تستطيل بعده؛ ولذلك يعدها الخليل في حيز واحد، مثل: الصاد والسين والزاي في حيز واحد، والطاء والتاء والدال في حيز آخر.

والذي يفرق بينهما صفة النطق، ومنها ملا نجد له حيزًا مثل: الهمزة.(٢)

وهو معنى قوله: «والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه».(٣)

---

(١) السابق ٤١/١، بتصرف يسير.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل، ص٢٥.

(٣) كتاب العين للخليل بن أحمد، ٥٨/١.

أما أبو الفتح ابن جني: فقد جعل مخارج الحروف ستة عشر بعدما أسقط مخرج الجوف قائلا:

اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق، فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه.

وزعم أبو الحسن أن ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف، لا قبلها ولا بعدها، والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف، اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي.

ومن وسط الحلق مخرج الغين والخاء.

ومما فويق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء.

ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام، مخرج الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج الطاء والدال والتاء.

ومما بين الثنايا وطرف اللسان، مخرج الصاد والزاي والسين.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج الظاء والذال والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال الحفيفة، أي الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا.[١]

مخارج الحروف عند المحدثين

١- أدنى الحلق: أي أقربه من الفم، يخرج منه صوتا الغين والخاء.

٢- وسط الحلق: ويخرج منه صوتا العين والحاء.

٣- الحنجرة: ويخرج منها صوتا الهاء والهمزة.

٤- ومن أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى: تخرج القاف والكاف والجيم المصرية.

٥- ومن وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى: تخرج الشين والجيم والياء التي ليست مدًا.

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٦٠، ٦١، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

٦- ومن طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا: تخرج الطاء والتاء والدال والضاد المصرية.

٧- ومن طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا: تخرج الظاء والذال والثاء.

٨- ومن طرف اللسان مع اللثة العليا: تخرج اللام والراء والنون.

٩- ومن طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى: تخرج السين والزاي والصاد.

١٠- ومن بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا: تخرج الفاء.

١١- ومن بين الشفتين: تخرج الباء والميم.(١)

وإذا أنعمت النظر في تصنيف مخارج الأصوات فيما بين الخليل بن أحمد وعلماء اللغة المحدثين لاحظت اختلافا، يكمن هذا الاختلاف في الفروق بين التصنيفين؛ لأن اهتمام الخليل بتحديد المخارج كأن أكثر من اهتمامه بالصفات أو الجهر والهمس لما للمخرج من أهمية في معرفة خصائص تركيب الكلمة العربية وعلاقة أصواتها بعضها ببعض.(٢)

ويرجع السبب في اختلاف تصنيف الخليل لمخارج الأصوات عن تصنيف المحدثين إلى أن الخليل لم يكن يسعى لتحديد مخرج كل صوت على حده بقدر ما كان يسعى إلى تحديد أحياز هذه الأصوات، أو بعبارة أخرى :

---

(١) ينظر: أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال، ص١٥١،١٥٠، وعلم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص٧٥ – ١٢٣، مطبعة الإبراهيمي بدسوق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، والأصوات اللغوية والأداء القرآني د/ عيد محمد الطيب، ص٤٤، دار أصداء المجتمع – القصيم بريدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص٢٦.

المناطق التي تجمعها من حيث هي مجاميع من الأصوات قد يجري التأليف بينها..... فكتاب العين معجم ينظر إلى البنية الصوتية في حال التأليف والتركيب.[١]

ومن ثم يتضح أن الاختلاف بينهم نابع من اختلاف المنهج والهدف. فالخليل كان فكره مشغولا بأمرين:

أولهما: تحديد أحياز الأصوات فضلا عن مخارجها.

والآخر: معرفة النسج الصوتي المميز للكلمة العربية عن طريق تحديد مدى ائتلاف الصوت مع الأصوات الأخرى من عدمه، وقد نجح في ذلك عن طريق اعتماده على نظام التقليبات.

وليس من شك في أن الخليل بن أحمد قد توصل إلى تصنيف أصوات العربية من خلال فكرة عزل الصوت عن بنيته، ثم ذوقه. يظهر هذا جليًا من حوار نقله تلميذه سيبويه في الكتاب. قال سيبويه: « سأل الخليل يومًا أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لكَ) والكاف التي في مالك والباء التي في (ضرب)، فقيل له نقول: باء كاف، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف. وقال: أقول كه، به، فقال: لم ألحقت الهاء، فقال: رأيتهم قالوا عه، فألحقوا هاء حتى صيروها يستطاع الكلام بها؛ لأنه لا يلفظ بحرف، فإن وصلتَ قلتَ: ك، ت».[٢]

---

(١) السابق، ص٣٤، ٣٥. بتصرف

(٢) ينظر: الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون ٣/٣٢٠ مكتبة الخانجي القاهرة، ط: ٣، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص١٥ بتصرف.

وفي موضع آخر: سأل –أيضًا– أصحابه قائلا:

«كيف تلفظون بالحرف الساكن نحو: يا غلامي، وباء اضـــرب، ودال قد، فأجابوا بنحو ما أجابوا في المرة الأولى، فقال أقول: اب، اي، اد، فألحق ألفا موصولة.

قال: كذلك أراهم صنعوا بالساكن، ألا تراهم قالوا: ابن واسم، حيـــث سكنوا الباء والسين، وأنت لا تستطيع التكلم بساكن في أول اســـم، كمـــا لا تصل إلى اللفظ بهذه السواكن، فألحقت ألفا حتى وصلت إلى اللفظ بها، فكذلك تلحق هذه الألفات حتى تصل إلى اللفظ بها، كما ألحقت المســـكن الأول فـــي الاسم».[١]

وقد عرفت هذه الطريقة بـــ (ذوق الحرف).[٢]

وقد طبق الخليل هذه الطريقة في عزل أصوات عربية وترتيبها فـــي معجمه فيما أسماه «ذوق الحرف» وذلك أنه: «كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أث، أح، أع».

وقد استعمل الخليل الحرف ساكنا في عملية (ذوق الحـــرف)؛ لأنـــه شعر أن الحركة قد تغير من موضع الحرف وتحركه عن جهته التي يخـــرج منها.[٣]

وقد سار ابن جني على خطى الخليل في تحديد مخرج الصوت؛ بغية الوقوف على أساس تصنيف مخارج الأصوات، بإمكانك أن تلحظ ذلك فـــي

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٣/٣٢١، والتفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص١٥.
(٢) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص١٥.
(٣) السابق، ص١٥، بتصرف يسير.

استعمال أبي الفتح المنهج الخليلي (ذوق الحرف) –نفسه– فقد قال: تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك.

ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فتجد له جرسًا ما، فإن انتقلت منه راجعًا عنه أو متجاوزًا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو: الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين، وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركًا؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: اك، اج، اق، وكذلك سائر الحروف».[١]

تصنيف مخارج الأصوات عند المحدثين

لم يختلف الأمر كثيرًا عند علماء اللغة المحدثين في تحديد مخارج الأصوات فقد ساروا في درب الرعيل الأول من علماء العربية مستنيرين بفكرهم مع ملاحظة التطور المصاحب لنطق الحرف آخذين بالنتائج التي توصلوا إليها من خلال دراساتهم المعملية، فالأساس الذي قام عليه تصنيف مخارج الأصوات عند المحدثين يعتمد على أساسين:

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ١٩، ٢٠، والتفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص١٥.

١- الأماكن التي يلتقي أو يقترب فيها العضوان المخصصان لإنتاج الصوت.

٢- الهيئة الخاصة لهذين العضوين في هذا الالتقاء أو الاقتراب، فمثلا عندما نصف العين بأنها حلقية، فإن ذلك معناه أن الحلق موضع نطقها، وأن إنتاج صوتها قد تم عن طريق تقريب الحائطين الأمامي والخلفي للحلق، أو بعبارة أدق: جذر اللسان ومؤخر الفم؛ ولذا تسمى لسانية حلقية. Linguo- pharyngeal . (١)

وعلى هذا يمكن اعتبار التصنيف المخرجي نتاج الموقع وهيئة الالتقاء أو الاقتراب لعضوي النطق.

هذا الالتقاء أو الاقتراب قد يكون في فتحة المزمار أو الحنجرة، فيسمى الصوت مزماريا أو حنجريا، وقد يكون في الأنف؛ نتيجة غلق الممر الفموي وفتح الممر الأنفي فيسمى أنفيًا.(٢)

وانطلاقًا من الثوابت الصوتية الخليلية، ومعطيات ابن جني التعليلية للظواهر اللغوية وانفتاحًا على إسهامات علماء اللغة المحدثين المعملية ينتهي الطريق بالباحث المنصف عند نتيجة محددة جوهرها ما قرره العلماء سلفًا وخلفًا من أن الأساس الذي بني عليه تصنيف مخارج الأصوات فسيولوجي بحت.

---

(١) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ص١١٤، عالم الكتب- القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ودراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، د/ أحمد طه سلطان، ص١٤٦.

(٢) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص١٤٦.

ومع أن تحديد المخارج عند المحدثين كان أكثر دقة من سابقيهم، إلا أنه يحسب للرعيل الأول من علماء العربية اهتداؤهم إلى ما سجلوه من ثوابت ومعطيات بنيت على الحس اللغوي المتمثل في (ذوق الحرف) المصحوب بالتجربة الذاتية توصل من خلالها المحدثون إلى نتائج مذهلة لما توفر لهم من عوامل النجاح التي تتلخص في النقاط التالية:

١- دراسة النتاج العلمي لعلماء اللغة القدامى وتنقيحه في ضوء معطيات الدرس اللغوي.

٢- استخدام المعامل الصوتية.

٣- التنبيه على القيمة الوظيفية للأصوات من خلال إظهار الملامح الصوتية لكل صوت من أصوات العربية وإبراز الفروق فيما بينها بصورة أكثر تعمقًا مما كان عليه الحال عند القدماء، وهذا ما أكدته سطور مصنفات الباحثين المحدثين.

فإذا كانت دراسة الأصوات مفردة لها أهميتها، فإن دراستها عندما تتجاور مكونة وحدة لغوية كبرى أكثر أهمية.

ذلك أن للأصوات علاقاتها كتلك التي بين الأفراد والأسر، يؤثر القوي فيها على الضعيف، ويتأثر البعض بصفات غيره وخصائص.... فالصوت المجهور قد يؤثر على مجاوره المهموس، فيصبح مجهورًا مثله، كما رأينا في السين والباء في كلمة (أسبوع) التي تصبح (أزبوع) .... وقد يحدث العكس كما في بعض صور نطقنا لكلمة (مجتمع) الذي تتحول فيه (الجيم) المجهورة إلى صوت مهموس هو (الكاف) أو ما يقرب منه.

ولقد كان السياق سببًا في نشأة ظواهر لغوية تعرضت لها الأصوات كالإدغام، والإبدال، والقلب، والحذف، والتقصير، والاختلاس وما إليها، ومن هنا كانت دراسة الأصوات في سياقاتها المتعددة والمتنوعة حقلا خصبًا لعلم الصوتيات، وعملا بناءً في مجال الدرس الصوتي؛ لأنه يمثل الوجود الحي للأصوات.(١)

ومما لا شك فيه أن التطور الذي أصاب نطق أصوات العربية كان بمثابة السبب الرئيس في اختلاف مخارجها بين علماء العربية القدماء والمحدثين، وهذا ما أشار إليه الدكتور/ عبد الغفار هلال بقوله: «لقد اختلف الأقدمون والمحدثون في تحديد مخارج بعض الحروف وصفاتها، وهذا الاختلاف –في أغلب الظنون– ناشئ عن تطور تلك الحروف على المدى الطويل الذي مرت به اللغة العربية بين الأجيال المتعددة.(٢)

ملاحظات على مخارج الأصوات عند علماء العربية

١– عد الخليل الجوف مخرجًا مستقلا تخرج منه الهمزة، ثم (حروف المد) ولا يعتد المحدثون بهذا المخرج؛ لأن (الجوف) ينصرف إلى البطن، والبطن ليست من جهاز النطق، ولا من أعضائه.

والذي تجده عند المحدثين مقابلا للجوف هو (الحنجرة) وهي مخرج لصوت الهمزة فقط.(٣)

---

(١) علم الصوتيات د/ عبد العزيز أحمد علام، د/ عبد الله ربيع محمود ٢٢، ٢٣ مكتبة الرشد ناشرون –الرياض– المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٢) أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار حامد هلال ص١٨١.

(٣) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام، ص٥٤، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، بتصرف يسير.

ويبدو لي أن الخليل ربما كان يقصد بما سماه (الجوف) منطقة ما بعد الحلق فقد اعتمد في تصنيفه لمخارج الأصوات على ذوقه الصوت الممزوج بالملاحظة الذاتية، وبذلك يكون كلام الخليل موافقًا لما ذهب إليه علماء العربية المحدثون من وصف صوت الهمزة بالحنجري.

٢- التفريق بين الصوامت والصوائت:

اهتدى الخليل بن أحمد بحسه اللغوي المرهف إلى أهمية الجانب الفسيولوجي أو كيفية النطق في التفريق بين الصوامت والصوائت، فبين أن للحروف الصحاح (وهي خمسة وعشرون حرفًا) أحيازًا ومدارج، وأن حروف المد: (الألف اللينة والواو والياء) هوائية، لا تنسب إلى حيز.

ومن ثم يمكن تصنيف الصوامت إلى مجموعات؛ لأنها تقوم على كيفية النطق وتنوعه، فأعضاء النطق تعد مواضع لنطق الصوامت، ويتخذ بعضها أوضاعًا مختلفة تبعًا للصوت المنطوق وصورة نطقه، فتختلف باختلافها خصائص الأصوات، كما تختلف خصائصها وفقًا لحالة مجرى الهواء.(١)

٣- نجح الخليل بن أحمد في التفريق بين المخرج والحيز، فقد كان أول من صنف الأصوات العربية حسب الأحياز والمخارج.(٢)

(١) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص١٣٥ بتصرف يسير.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص٢٣، دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص٣٧.

يمكنك ملاحظة ذلك في حديثه عن أحرف العين والحاء والهاء: «فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض».(١)

ثم أكد على الفكرة نفسها قائلا: «ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع».

والحيز عنده أوسع من المخرج؛ لأنه قد يحتوي على أكثر من صوت، أما المخرج فهو يدل عنده على ما يسميه المحدثون بموضع النطق.(٢)

فالحيز قد يكون عضوًا من أعضاء النطق كالشفتين، فهما حيز تخرج منه: (الفاء، والباء، والميم)، وقد يكون جزءًا من عضو النطق كوسط اللسان، الذي هو حيز تخرج منه: (الجيم، والشين، والضاد) على رأي الخليل، (والجيم، والشين، والياء) على رأي ابن جني.(٣)

٤- جعل الخليل مخرج حروف المد من الجوف، فقد قال: «الألف اللينة، والواو، والياء هوائية، أي: أنها في الهواء.... والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه، ولم تقع في مدرجة من مدارج اللسان، والحلق، واللهاة، فهي تخرج من الجوف.(٤)

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد، ٥٧/١.

(٢) التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل، ص٢٣.

(٣) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام، ص٥٨.

(٤) كتاب العين للخليل بن أحمد، ٥٧/١.

وهذا القول يجانب الصواب؛ فمخرج أحرف المد ليس الجوف، كما قال، وإنما أحرف المد تخرج من الفم، أو بعبارة أدق: من اللسان؛ بحيث تكون المسافة بينه وبين سقف الحنك أوسع منها مع الصوامت كلها؛ ولذا فقد كان هذا الفارق أساس التقسيم للأصوات اللغوية إلى:

أ- حركات أو صوائت (vowels).

ب- صوامت (consonants).

حيث إن طبيعة ممر الهواء مع الحركات يكون واسعًا، وحرًا طليقًا إلى حد ما.

بينما يكون مع الصوامت أضيق بشكل ملحوظ، كما في السين مثلا، وقد يكون مغلقًا غلقًا تامًا كما في القاف، أو الكاف، أو الدال مثلا.(١)

٥- ذكر القدامى من علماء العربية الألف في أحرف الحلق بلا مسوغ.

ويقول الدكتور/ تمام حسان معقبًا على ذلك: إننا نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال، ولا تضييق في مخرج بعينه شأنها في ذلك شأن العلل والحركات.(٢)

---

(١)عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام، ص٥٤، ٥٥ بتصرف يسير.

(٢) مقال: (مصطلحات سيبويه في أصوات العربية) د/ تمام حسان، مجلة الأزهر ص١٠٧٨ عدد شوال ١٣٨٠هـ.

وقد علق الدكتور/ عبد الغفار هلال على هذه الملاحظة قائلا: «وهذا النقد يلقى قبولا من الناحية العلمية».[١]

٦- قد أصاب الأقدمون في وصف مخرج الياء، وأنه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهذا التحديد يتفق مع وجهة نظر المحدثين.

أما تحديدهم لمخرج الواو فلم يوفقوا فيه، فقد جعلوها مما بين الشفتين.

والحقيقة: هي ما قاله المحدثون من أنها من أقصى اللسان، حين يقترب من أقصى الحنك.

وربما أوقعهم في هذا الخطأ: أن الشفتين تستديران حال نطقها فضلا عن تقلصهما، وبروزهما مشكلتين فتحة دائرية ضيقة، فظن العلماء أن الواو تخرج من الشفتين.[٢]

٧- فرق ابن جني بين مخرج الفاء ومخرج الباء والميم، فأشار إلى أن مخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى.

بينما مخرج الباء والميم من بين الشفتين.[٣] لافتًا النظر إلى أن الفاء صوت لثوي شفهي، بينما الباء والميم شفويان.

---

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، ص١٥١.

(٢) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، ص١٤٣، و عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام، ص٦٧.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٦١.

٨- تحري الدقة في تحديد المخرج الصوتي.

المتتبع دراسة مخارج الأصوات عند علماء العربية بإمكانه أن يلاحظ مدى حرصهم -قدامي ومحدثين- على أن يحددوا مخرج الصوت تحديدًا دقيقًا يميزه عن بقية أحرف الحيز الصوتي أو المخرج الكلي الذي ينتمي إليه.

فذكر أبو الفتح مخرج النون بأنه من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا.

وعاد واصفًا مخرج النون الخفية أو الحفيفة -الساكنة- بأنها من الخياشيم.(١)

ولم يكن المحدثون أقل حرصًا من سلفهم، فقد كانت دراسة مخارج الأصوات عندهم أكثر نضجًا، تلمس ذلك من تعليق د/ محمد العريان على صوتي: الشين والجيم بأنهما: غير متساويين في المخرج، فهناك عدم تطابق بين مخرج الجيم ومخرج الشين، وإن كانا يلتقيان في نقطة واحدة ابتداءً هي وسط الفم، فالشين مستطيلة المخرج، أي: أن النطق بها يشغل مساحة أوسع من اللسان والحنك الأعلى، والجيم أقل مساحة من اللسان والحنك الأعلى.(٢)

وقد يظن بعض الباحثين المحدثين أن القراء والنحاة العرب خلطوا خلطًا كبيرًا في تحديد المخارج والصفات، ويستشهدون على ذلك بتردد بعض

---

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٦١.

(٢) أصوات الجيم والضاد والطاء والقاف بين القدامى والمحدثين د/ محمد عبد الحفيظ العريان، العريان، ص٨،٩ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م بتصرف يسير.

الحروف بين مخرجين أو أكثر أو بين مخرج وصفة أو إسقاط بعض الصفات والتفصيل في بعضها.

والحق أن هذا الخلط إنما جاء النحاة من شدة أمانتهم وحرصهم على أن ينقلوا الآراء جميعًا، فالنون مثلا عند بعضهم تسمى ذلقية تارة؛ لأنها تخرج من ذلق اللسان، وخيشومية تارة أخرى، إذ ينطق بها في تجويف الأنف وهو الخيشوم وكل يراعي ناحية، وكل جدير أن ينقل قوله ولا يهمل.(١)

ويرى د/ عبد الغفار هلال: أن الأوصاف المتعددة للحرف الواحد جاءت من طريق الاستقراء الواعي لمخرج الحرف والملاحظة الدقيقة لكيفية تكوينه، وليس فيها ما يدل على خلط أو تعارض، فوصف النون مثلا بالأوصاف السابقة –يقصد ذلقية، وخيشومية، وأنها من بين طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا– يزيدها وضوحًا وجلاءً للناطقين والدارسين على السواء.(٢)

(١) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ص٢٨٤، دار العلم للملايين، –بيروت– الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٩م، ومقدمة لدراسة فقه اللغة د/ محمد أحمد أبو الفرج ص٨٥، دار النهضة العربية – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

(٢) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، ص١٥٦.

أثر المخرج الصوتي في الظواهر الصوتية

الإبـــدال

لاحظ اللغويون أن هناك وحدات صوتية يترتب على اختلافها اختلاف المعاني في بعض الأحيان، ولا يترتب عليها ذلك في أحيان أخرى، وهنا بدأ التساؤل: هل تعد مثل هذه الاختلافات النطقية صورًا لفونيم واحـد أو أنهـا فونيمات مستقلة، حتى وإن لم تؤد في هذه الحالة إلى اختلاف فـي معنـى الكلمة.

فعلى صعيد لغتنا العربية فإننا نقول: إن السـين والصـاد وحـدتان صوتيتان؛ لأنهما يؤديان إلى تغيير المعنى في مثل سائر وصائر، ولكنهمـا في أحيان أخرى لا يؤديان هذه الوظيفة كما في (السراط- الصـراط) فهـل نعدهما في الحالة الأخيرة وحدتين صوتيتين أم صورتين صـوتيتين لفـونيم واحد كما هو الحال في ألف التفخيم وألف الإمالة؟

يقول لاينز مجيبًا عن هذا التسـاؤل: «طالمـا ثبـت أن الوحـدتين الصوتيتين المتميزتين قد أديا إلى اختلاف المعنى في بعض الحالات فإنهمـا يبقيان كذلك حتى ولو لم يؤديا هذه الوظيفة في حـالات أخـرى، ويطلـق عليهما في هذه الحالة الأخيرة مصطلح (freie variante) أي البدائل الحرة للوحدة الصوتية، وهو ما أطلق عليه العلماء العرب مصطلح الإبدال.[١]

(١) ينظر: مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبـد الفتـاح عبـد العلـيم البركاوي ص١٢٩-١٣٠، ٢٠٠٢م بتصرف.

الإبدال: جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الحرفين أو حركة مكان أخرى.(١)

ويقال: إن هذه التسمية (الإبدال) للأصمعي المتوفى ٢١٦هـ ووافقه عليها ابن السكيت (٢٤٤هـ) الذي ألف كتابًا في القلب والإبدال.

كما ألف عبد الرحمن الزجاجي (٣٤٠هـ) كتابًا سماه (الإبدال والمعاقبة والنظائر).

وقد قام أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) بجمع الكلمات التي حدث فيها الإبدال في كتاب ضخم سماه (الإبدال).(٢)

نشأة الإبدال اللغوي:

دأب علماء العربية قديمًا وحديثًا في تناولهم الظواهر اللغوية على تفسيرها وتوضيح عللها، والإبدال لم يخرج عن هذا السياق.

فقد أعمل كل منهم فكره محاولا إبراز السبب الحقيقي في نشأة الظاهرة، مشيرًا إلى شروط تحققها.

وإذا كان العلماء قد انقسموا سلفًا وخلفًا في تفسيرهم ظاهرة الإبدال ما بين فريق يرى أن الإبدال إنما ينشأ من اختلاف اللهجات، ويمثل هذا الاتجاه أبو الطيب اللغوي، فقد قال: «ليس المراد من الإبدال أن تتعمد العرب

---

(١) علم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٤٧ دار الزهراء للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) مذكرة في فقه اللغة د/ عبد الله ربيع محمود، ص١٦٣دت.

تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان لمعنى واحد.(١)

وآخر يفرق بين الإبدال واختلاف اللهجات، فيرى أن كل لفظين متفقين في المعنى وفي الحروف إلا في حرف واحد ومتساويين في التصرف والاستعمال هما أصلان، ومن ذلك: «هتلت السماء، وهتنت –هما أصلان ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون: هتنت السماء تهتنت تهتانا، وهتلت تهتل تهتالا– أما إذا كان أحد اللفظين أكثر تصرفًا أو أدور استعمالا فهو الأصل والآخر فرع له حدث فيه الإبدال. ويمثل هذا الاتجاه عالم العربية ورائد تعليل الظواهر اللغوية ابن جني».(٢)

وثالث يؤمن بأن منشأ الإبدال إنما هو التطور الصوتي بين الصوتين، نتيجة العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه.

يمثل هذا الاتجاه د/ إبراهيم أنيس فقد قال: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينًا أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعًا نتيجة التطور الصوتي، أي: أن الكلمات ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها، فنستطيع أن نفسرها على إن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها.(٣)

---

(١) المزهر للسيوطي، تح/ فؤاد على منصور، ٣٦٥/١ دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، وعلم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٤٨.

(٢) الخصائص لابن جني، تح محمد علي النجار ٢٧٦/٢، المكتبة العلمية دت، وعلم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٤٨.

(٣) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص٧٥، ط٦، وعلم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٥٠.

إلا أنهم أجمعوا على اشتراط وجود العلاقة الصوتية بين حرفي الإبدال –المبدل والمبدل منه– المتمثلة في عنصرين أحدهما: التقارب في المخرج والآخر الاتفاق في الصفات الصوتية، لكن هذا الإجماع ليس على درجة واحدة في التسوية بين العنصرين.

فإذا أمعنت النظر في سطور أمهات كتب اللغة بإمكانك أن تلاحظ اهتمام علماء العربية، بضرورة تقارب حرفي الإبدال في المخرج الذي انتهى إلى درجة اليقين تلمس ذلك في إشارة الأزهري إلى الظاهرة بقوله: «إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات».(١)

ويؤكد ابن جني على وجود الشرط نفسه في حديثه عن إبدال التاء من السين في: (النات وأكيات) يريد: الناس وأكياس، فقد قال: «فأبدل السين تاء لموافقتها إياها في الهمس والزيادة وتجاور المخرج»(٢).

ثم تطور هذا الاهتمام حتى أخذ شكل القناعة اللغوية عند ابن سيده، فقد قال: «فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتة، فقيل: على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا»(٣).

موضحًا ضرورة اشتراط تقارب حرفي الإبدال في المخرج الصوتي؛ لتحقق الظاهرة، مشيرًا إلى خروج الألفاظ –التي ليس بين حرفي الإبدال فيها تقارب في المخرج– عن دائرة الإبدال وبمرور الزمن تحولت هذه القناعة

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري، تح/ محمد عوض مرعب ٧/١٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١٦٥/١.

(٣) المخصص لابن سيده، تح/ خليل إبراهيم جفال ١٨٤/٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

إلى يقين لغوي عند بعض علماء اللغة المحدثين يمكنك أن تدرك ذلك في حديث د محمد حسن جبل عن ظاهرة الإبدال، فقد قال: «إن الإبدال لا بد فيه من اشتراط التقارب في المخرج فقط دون الصفة حتى لو كانت جميع الصفات متفقة»(١)

ويبدو أثر تقارب المخرج الصوتي واضحًا في تحقق ظاهرة الإبدال فيما جاء في كتاب الإبدال لابن السكيت فقد قال: «الظَّأَم والظَّأَب سِلْف الرجل يقال: تَظاءَبا وتظاءَما: إذا تَزَوَّجا أختين».

ويقال للرجل إذا كبر ويَبِسَ من الهُزال ما هو إلا عَشَمَةُ وعَشَبَةُ»(٢).

وقد سوغ الإبدال بين الميم والباء اتفاقهما في المخرج الصوتي، ومعظم الصفات؛ فالميم مخرجها من بين الشفتين وكذلك الباء أيضًا. باتفاق بين القدماء والمحدثين.(٣)

أما من حيث الصفات فتتفقان في الجهر والذلاقة والانفتاح والاستفال، وتتميز الباء بالشدة، أما الميم: فهي من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة.(٤)

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل ص٢٨، مكتبة الآداب –القاهرة– الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٢) كتاب الإبدال لابن السكيت، تح د/ حسين محمد شرف ص٧١ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٤/٤٣٣، وسر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٦١، ٧٥، ٧٦.

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٤/٤٣٤-٤٣٦، و سر الصناعة ١/٥٦، والأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس ص٤٥، ٤٦ مكتبة الانجلو –القاهرة– ١٩٩٥م.

وبإنعام النظر في كتاب الإبدال لابن السكيت تبين لي أن المخرج الصوتي قد أدى دورًا كبيرًا في تحقق الإبدال في مئتين واثنين وسبعين مثالا من الأمثلة التي وردت في الكتاب.

وبعد هذه الإطلالة على صفحات كتب اللغة التي تحدثت عن ظاهرة الإبدال مصورة الدور الجوهري الذي يؤديه المخرج الصوتي في تحقق الظاهرة، لعل هذا الدور هو الذي دفع الدكتور/ عبد الله ربيع إلى اتخاذ العلاقة الصوتية –التي تظهر بشكل أكثر تعمقًا في المخرج الصوتي- أساسًا لتضييق نطاق الإبدال اللغوي، مستبعدًا مجموعات كثيرة من الكلمات التي يظن فيها الإبدال من دائرة الإبدال اللغوي.

وتتمثل هذه المجموعات فيما يأتي:

١- الأصوات التي لا توجد بينها علاقة لا تعتبر من قبيل الإبدال، وإنما كل كلمة أصل قائم بذاته.

٢- الأصوات التي بينها علاقة، ولكن سمعت إحدى الكلمتين في قبيلة، والثانية في قبيلة أخرى، يجب أن تبعد عن دائرة الإبدال، وتعزى إلى اختلاف اللهجات.

٣- الأصوات التي يحتمل فيها التصحيف كالزحاليف والزحاليق وسؤدة وسؤرة، فقد قال الشدياق: «إن الدال تصحيف»، وفي الصحاح: شرواخ، وشرواح، قال الهروي: «هذا تصحيف، وإنما هو شرواح بالحاء المهملة».... فكل ما يحتمل التصحيف يجب إخراجه من الإبدال.

٤- كذلك فإن لعيوب الكلام أثرًا في كثرة كلمات الإبدال، فقد تنطق الراء -مثلا- غينًا، في مثل: (تسربل الدرع)، ويهمل هذا العيب، ويقلد وينتشر، فتظهر صيغة أخرى هي: (تسغبل الدرع).

٥- كثيرًا ما يلتبس الترادف بالإبدال، فتكون الكلمة من باب الترادف ويعدها العلماء من الإبدال مثل: حجر أصر، وأير بمعنى صلب. فما العلاقة بين الصاد والياء حتى نقول بالإبدال؟

إن هذا وأمثاله مما يمكن تخريجه على الترادف يجب إبعاده عن الإبدال.(١)

والذي لا شك فيه أن المعول عليه في العلاقة الصوتية بين حرفي الإبدال (المبدل والمبدل منه) هو التقارب في المخرج الصوتي، وقد دفعني إلى هذا المعتقد إيماني الشديد برأي ابن جني في تعليقه على لفظ (حثحثوا) في قول تأبط شرًا:

كأنما حثحثوا حصا قوادمه ∴ أو أم خشف بذي شث وطباق

«أنه أراد (حثثوا)، فأبدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، وإنما ذهب إلى هذا البغداديون، وأبو بكر أيضًا معهم.

وسألت أبا علي عن فساده فقال: العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف، إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه.

(١) للاستزادة: يراجع مذكرة في فقه اللغة د/ عبد الله ربيع محمود ص١٦٨، ١٦٩بتصرف.

فأما الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت من قلب إحداهما إلى أختها.

قال: وإنما حثحث أصل رباعي، وحثث أصل ثلاثي، وليس واحد منها من لفظ صاحبه، إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة، وحثث من مضاعف الثلاثة، فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما، اشتبه على بعض الناس أمرهما، وهذا هو حقيقة مذهبنا».[١]

ومن ثم فإن السطور السابقة تتسابق فيما بينها لإثبات حقيقة لغوية مضمونها أن للمخرج الصوتي دورًا محوريًا في تحقق ظاهرة الإبدال إذ هو المفسر لها.

وقد كشف الدكتور/ عبد الصبور شاهين النقاب عن الغاية المرجوة من الإبدال اللغوي، وهي: تحقيق نوع من الاقتصاد في عملية النطق المتتابعة.[٢] الأمر الذي يؤكد ميل العربية إلى التخفيف.

(١)سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ١٩٢،١٩٣.

(٢) المنهج الصوتي في البنية العربية د/ عبد الصبور شاهين، ص١٦٨، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٧م بتصرف.

فتح الأحرف الحلقية الساكنة

تميل الأصوات الحلقية في الساميات إلى الفتحة ويظهر هذا الميل بصورة أكثر وضوحًا في اللغة العبرية.(١)

والأصوات الحلقية في العربية التي تخرج من الحلق هي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء عند القدماء، وتتفق هذه الأصوات جميعها ما عدا الهمزة في أنها أصوات رخوة يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها.(٢)

أما المحدثون فقد جعلوا الهمزة والهاء من الحنجرة.(٣)

وقد وقع خلاف بين الرعيل الأول من علماء العربية في فتح هذه الأصوات حال سكونها في مثل قراءة سهل بن شعيب النهمي: (أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً)، وقراءة: (زَهْرَةَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) بفتح الهاء في الآيتين. وكذا قرأ أبو السمال: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) بفتحتين.

قال د/ أحمد علم الدين الجندي معلقًا على هذه القراءات: «وإذا ما حققنا النظر في هذه القراءات وجدنا أن أحرف الحلق بها جاء مفتوحًا وهو على الترتيب الهاء، الحاء فدل هذا على أن حرف الحلق يؤثر الفتحة، أما في (قرح) فقد آثر حرف الحلق وهو(الحاء) فتح الحرف الذي يليه وهو

---

(١) ينظر: في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٠ مكتبة الانجلو الطبعة التاسعة ١٩٩٥ بتصرف، واللهجات العربية في التراث د/ أحمد علم الدين الجندي ٣٩٧/١ الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م، وفقه اللغة د/ عبد الراجحي، صـ ١١٧، دار الصحابة- طنطا، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

(٢) الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس ص٨٨ مكتبة الانجلو ١٩٩٥م.

(٣) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٢٣.

(الراء) كما أن حرف الحلق فتح الحرف الذي قبله في مثل: (يسنح- يسفح- يسمح).[١]

مذهب البصريين في فتح الحرف الحلقي الساكن

مذهب البصريين في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه كالزهْرة والزهَرة، والنهْر والنهَر، والشعْر والشعَر، فهذه لغات عندهم كالنشْز والنشَز، والحلْب والحلَب، والطرْد والطرَد[٢].

وليس قياسًا عندهم[٣]، فلا أثر لحرف الحلق في هذا الفتح.

مذهب الكوفيين

أما مذهب الكوفيين أنه يحرك الثاني لكونه حرفًا حلقيًا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، كالبحر -بسكون الحاء وفتحها- والصخر بسكون الخاء وفتحها.[٤]

موقف ابن جني من فتح الحرف الحلقي الساكن

اللافت للنظر أن ابن جني قد وافق مذهب البصريين -في بداية حياته العلمية- في ظاهرة فتح الحرف الحلقي الساكن فقد ذكر في كتابه الخصائص

---

(١) اللهجات العربية في التراث د/ أحمد علم الدين الجندي ٢٦٣/١.

(٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ٨٤/١ وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٣) الخصائص لابن جني ١٠/٢ بتصرف.

(٤) المحتسب لابن جني ٨٤/١، واللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١٠، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ما يدل على هذه الموافقة قائلا: «وسمعت الشجري أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقي في نحو: (يعدو) و(هو محموم) ولم أسمعها من غيره من عقيل، فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته، ولا أظن الشجري إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقي بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين... لكن مثل (يعدو، وهو محموم) لم يرو عنهم فيما علمت فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه.»[١]

كما أيد أبو الفتح مذهب البصريين في كتابه: (المنصف) بقوله: «فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقي.... فلا فصل عندهم بين نشْز ونشَز بسكون الشين وفتحها، وشعْر وشعَر بسكون العين وفتحها، فهذان لغتان كما أن هذين لغتان»[٢].

ولم يقتصر دور ابن جني على اعتناق الفكر البصري في هذه الظاهرة الصوتية بل دافع عن هذا المعتقد بقوله: «إن حروف الحلق لا تحرك ساكنًا، ولا تسكن متحركًا؛ بل لعمري إنه يراد فيها الإتباع وتجانس الصوت، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها».[٣]

ثم عاد ابن جني ووافق الكوفيين والبغداديين –في آخر حياته العلمية– فيما ذهبوا إليه من قياسية فتح حرف الحلق الساكن، فقد امتدح رأي الكوفيين قائلا: «وما أري القول من بعد إلا معهم والحق إلا في أيديهم،

---

(١)الخصائص لابن جني ٢/ ٩، ١٠بتصرف.

(٢) المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تح/ إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ٣٠٥/٢، ٣٠٦، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

(٣) السابق، ٣٠٧/٢.

وذلك أنني سمعت عامة عقيل تقول ذاك، ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره، حتى لسمعت الشجري يقول: أنا محموم -بفتح الحاء- وليس أحد يدعي أن في الكلام مفعول بفتح الفاء.»[١]

ومن ثم فقد تراجع ابن جني عن تأييده لرأي البصريين في هذه الظاهرة الصوتية، وقد دفعه إلى هذا التراجع الأسباب الآتية:

١- أنه سمع كثيرًا من عقيل لا يحصيهم تفتح حرف الحلق الساكن، وقبل ذلك لم يكن يسمع مثله من غير الشجري كما يتبين من كلامه.[٢]

٢- اعتناق ابن جني الفكر المعتزلي الذي انعكس على شخصيته العلمية، فقد مكنه اعتزاله من التحرر وإخضاع اللغة لحكم العقل[٣].

فقد أدرك بحسه اللغوي قيمة وجود الحرف الحلقي وملاءمة الحركة له، يظهر هذا في تعليقه موجهًا قراءة (قرح) ثم لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفًا حلقيًا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنًا من حروف الحلق، نحو قولهم في الصخر: الصخر، والنعل: النعل.

ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمرًا راجعًا إلى حرف الحلق، لكنها لغات، وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرًا معتدًا معتمدًا، فلقد رأيت كثيرًا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدًا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم نحوه -بفتح

---

(١) المحتسب لابن جني ٨٤/١.

(٢) المحتسب لابن جني ١٦٧/١، واللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١٢.

(٣) ينظر: علم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٣٢.

الحاء- يريد نحوه بسكونها- وهذا لا توقف في أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأن الكلمة بنيت عليه البتة.(١)

٣- إدراك ابن جني لحالة الانسجام الصوتي بين أحرف الحلق والفتح من حيث الاتفاق في المخرج فمن الثابت صوتيًا أن الفتحة مخرجها من أقصى الحلق؛ ولذلك ناسب تحريك الحرف الحلقي بالفتح دون غيره من الحركات.

وهذا ما أشار إليه الدكتور/ محمد حسن جبل بقوله: الفتح مناسب لحروف الحلق؛ لأن الفتحة من الألف، والألف أقرب إلى أحرف الحلق، أي: أن صدور زميرها من الحنجرة وجريانه في هواء الحلق والفم دون تدخل كبير من اللسان جعلها كأنها حلقية؛ ولأن الفتحة خفيفة فتخفف ثقل أحرف الحلق.(٢)

ولعل ما أشار إليه الدكتور/ محمد جبل يوضح الدور الذي يقوم به المخرج الصوتي في تحقق ظاهرة فتح الحرف الحلقي الساكن، فمناسبة الحركة للحرف الحلقي ههنا المقصود بها اتحاد المخرج الصوتي بين الحرف الحلقي من ناحية والفتحة من ناحية أخرى الأمر الذي أحدث انسجامًا صوتيًا.

وقد بين الدكتور/ إبراهيم أنيس العلة في حدوث هذه الظاهرة الصوتية قائلا:

---

(١) المحتسب لابن جني ١٦٧/١، واللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١١.

(٢) خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق د/ محمد حسن جبل، ص١٢٤، ص١٢٥، دار الفكر العربي – القاهرة – دت. بتصرف يسير.

«إن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، وليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعًا، وتلك هي الفتحة»(١)

وقد قال بالعلة نفسها الدكتور/ عبد الغفار هلال، مشيرًا إلى وجود اشتراك العبرية مع العربية في ظاهرة فتح الحرف الحلقي، وذلك مثل: baal (بعل) naal (نعل)، وكذلك الصامت الذي قبله، فالفعلان الماضيان shamar(سمع) patah (فتح) كان ينبغي أن مضارعاهما على قياس الثلاثي الصحيح yeshmoa بضم الميم، yeptoh بضم التاء، لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لامًا بعدها.(٢)

وقد نسب الدكتور/ إبراهيم أبو سكين ظاهرة فتح الأصوات الحلقية إذا انفتح ما قبلها في الاسم إلى قبيلتي عقيل، وبعض بكر بن وائل.(٣)

وتثبت كتب البلدان أن بني عقيل كانوا يسكنون البحرين(٤)، وأن بني بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين، ومن هذا إلى البحرين(٥)، ومن هذا نفهم سر التشابه بين القبيلتين.(٦)

---

(١) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ص١٧٠.

(٢) اللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١٢.

(٣) اللهجات العربية وتليها القراءات القرآنية د/ إبراهيم محمد أبو سكين، ص٨١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٤) نهاية الأرب لأبي العباس أحمد القلقشندي ص٣٦٥، ٣٦٦ العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م، واللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١٣.

(٥) صفة جزيرة العرب للهمداني ص١٦٩ ليدن ١٨٨٤م، ونهاية الأرب ص١٧٨.

(٦) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/ عبد الراجحي ص١١٣ دار المعارف ١٩٦٩م، واللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال ص٣١٣.

وإذا أمعنت النظر في العلة الصوتية التي كانت وراء تحقق ظاهرة فتح الحرف الحلقي الساكن علمت الدور الذي يؤديه المخرج الصوتي في الدرس الصرفي ذلك الدور الذي تشعر به في مجيء مضارع (أفعل) المفتوح العين في الماضي مفتوحها في المضارع –أيضًا– إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق كمضارع قرأ، جبه، قلع، ذبح، دمغ، رضح، سأل، بهر، بعث، بحث، نغر، فخر. وذلك لكون الفتح مناسبًا لأحرف الحلق؛ لأن الفتحة من الألف، والألف أقرب إلى أحرف الحلق، أي أن صدور زميرها من الحنجرة وجريانه في هواء الحلق والفم دون تدخل كبير من اللسان جعلها كأنها حلقية؛ ولأن الفتحة خفيفة فتخفف ثقل أحرف الحلق.(١)

وبإمكانك الآن أن تلاحظ ميل العربية إلى التخفيف، وقد ظهر هذا التخفيف في صورة مناسبة الحركة للحرف – ضبط أحرف معينة بحركة معينة– متمثلة في ضبط حرف الحلق بحركة معينة وهي الفتحة؛ لمناسبتها له، فضلا عن تخفيف ثقل الحرف الحلقي، وهي صورة من صور التخفيف في لغتنا الجميلة.

(١) خصائص اللغة العربية تفصيل وتح د/ محمد حسن جبل، ص١٢٤، ص١٢٥، بتصرف يسير.

الإدغام

الإدغام : هو أن تصل حرفًا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة.(١)

وعرفه د/ أحمد مختار عمر بقوله: «إزالة الحدود بين الصوتين المدغمين وصهرهما معًا.

أو أنه: إحلال صوت ساكن طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين.(٢)

سبب الإدغام:

تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو كلمتين، إذا كان الصوت الأول مشكلا بالسكون، والثاني متحركًا، وذلك لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها.(٣)

فسبب الإدغام: ثقل في النطق بالحرفين إذا فصلت بينهما؛ لأن اللسان يزايل الحرف إلى موضع الحركة، ثم يعود إليه.(٤)

وهذا ما أشار إليه ابن جني بقوله: «ألا ترى أنك في (قطع) ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر، ألا ترى أنك لو

(١) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٤٩.
(٢) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ص٣٨٧، ٣٨٨.
(٣) السابق، ص٣٨٧.
(٤) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٤٩.

تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها، كقولك قططع وسككر، وهذا إنما تحكمه المشافهة به، فإن أنت أزلت تلك الوُقَيْفَةَ والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه.(١)

وإذا أنعمت النظر في ظاهرة الإدغام تبين لك بوضوح أن المخرج الصوتي هو المفسر لهذه الظاهرة، فالإدغام يقع بين المتماثلين في كلمة واحدة وفي كلمتين، وبين المتقاربين والمتجانسين في كلمة واحدة وفي كلمتين أيضًا.(٢)

وقد آمن المبرد بهذا المعتقد اللغوي مؤكدًا على دور المخرج الصوتي في تحقق الإدغام فقد قال: «إن الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني، لأنه لا حركة تفصل بينهما؛ أن المخرج واحد ولا فصل وذلك قولك: قطع وكسر».(٣)

يمكنك أن تشعر بهذا الدور في إدغام النون في أحرف (يرملون)، فالنون تدغم في نون مثلها، وهذا أمر طبعي، لا تختلف فيه النون عن أي صوت آخر؛ إذ الشأن في أي صوتين متماثلين أن يدغم الأول في الثاني إذا

---

(١) الخصائص لابن جني ٢/١٤٠.

(٢) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/أحمد طه سلطان ص٢٠٠.

(٣) المقتضب للمبرد تح د/ محمد عبد الخالق عضيمة ١/٣٣٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – ١٩٩٤م بتصرف، و علم الصوتيات د/ إبراهيم أبو سكين ص١٥٠.

التقيا من دون فاصل[١]، أما إدغامهما مع الأصوات الخمسة الأخرى، وهي الميم واللام والراء والياء والواو، فبسبب التقارب الشديد في النطق الناجم عن تقارب المخارج والاتحاد في معظم الصفات، ويكون الإدغام حينئذٍ نوعًا من المماثلة التي تحقق الانسجام الصوتي وتوفر المجهود العضلي الذي يبذله اللسان.[٢]

فالنون مخرجها من طرف اللسان مع اللثة العليا.

واللام والراء يخرجان من المخرج نفسه[٣].

أما الميم فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، أما الواو فمخرجها من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك عند المحدثين، أما القدماء فقد جعلوها مما بين الشفتين.[٤]

وقد أوضح د/ محمد حسن جبل: أنه ليس هناك من حروف العربية ما لا يدغم في مثله إلا حروف المد –وهي أخف الحروف نسبيًا– ولا ينقلها إلى الثقل إلا أن تحرك فلا تعود حروف مد، أو أن تسبق أي منها أو يتلى بما يضاده منها من الحركات، وما دامت هي الأخف فليست هناك من حاجة إلى تخفيفها بالإدغام.

---

(١) وردت بلفظ (بدون فاصل) والصواب من دون فاصل. ينظر: مقدمة في أصوات اللغة العربية، وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح البركاوي ص٢١٨.

(٢) السابق ص٢١٨، ٢١٩ بتصرف.

(٣) الأصوات اللغوية والأداء القرآني د/ عيد محمد الطيب، ص٤٤.

(٤) أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال، ص١٥١، ١٥٢.

كما أنه ليس هناك ما لا يدغم في مقاربة إلا حروف المد والهمزة والميم لخفة حرف المد.

والميم مثلها أو تليها في الخفة والهمزة ثقيلة ولكنها تخفف بأكثر من وسيلة، فلا حاجة بها إلى وسيلة الإدغام.(١)

وهذا يعكس حرص اللغة العربية على تخفيف كلمها، فهي تلجأ للإدغام التماسًا للخفة، فإذا انعدمت الحاجة إلى التخفيف -كما في أحرف المد والميم والهمزة- فلا إدغام.

(١) خصائص اللغة العربية تفصيل تح د/ محمد حسن جبل ص١٠١.

المماثلة الصوتية

يؤدي المخرج الصوتي دورًا محوريًا في تحقق ظاهرة المماثلة الصوتية يظهر هذا الدور واضحًا جليًا في مبحث إبدال تاء الافتعال.

والمماثلة هي تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، وقد عرفها بعض اللغويين من غير العرب بأنها عبارة عن: التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته –ولا نقول ملاحقته– لأصوات أخرى.

أو هي: تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئيًا أو كليًا.(١)

والمماثلة لا تحدث في كل الأصوات بنسب متساوية، فهناك من الأصوات ما هو قابل للتأثر بغيره من الأصوات المجاورة له، فينجذب إليه بعض الانجذاب، وربما يفنى فيه فناء كليًا كما يحدث في بعض حالات الإدغام، وهناك أصوات أخرى لا تميل إلى التأثر بغيرها كأصوات الحلق مثلا، فهي ليست مستعدة للفناء في غيرها.(٢)

أشارت كتب اللغة إلى دور المخرج الصوتي في ظاهرة المماثلة الصوتية فقد قال الأشموني: «إذا بني الافتعال وفروعه مما فاؤه أحد الحروف المطبقة وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء وجب إبدال تائه طاء، فتقول في افتعل من صبر اصطبر، ومن ضرب اضطرب، ومن طهر اطهر، ومن ظلم اظطلم، والأصل: اصتبر واضترب واطتهر واظتلم؛ فاستثقل اجتماع

(١) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص١٩٣، و دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ص٣٧٨.
(٢) دراسات في علم الأصوات اللغوية ص١٩٣.

التاء مع الحرف المطبق لما بينهما من تقارب المخرج وتباين الصفة إذ تاء مهموسة مستفلة، والمطبق مهجور مستعل فأبدل من التاء حرف استعلاء من مخرجها وهو الطاء.»[١]

وهنا تشعر بقيمة المخرج الصوتي بدءًا من استثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق المقارب لها في المخرج انتهاءً إلى إبدال التاء إلى حرف مستعلٍ شريطة أن يكون هذا الحرف من المخرج نفسه.

وقد أكد صاحب التصريح بمضمون التوضيح على هذه الأهمية للمخرج الصوتي في إبدال تاء الافتعال بقوله: «وإنما أبدلت تاء الافتعال إثر المطبق طاء؛ لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق لما بينهما من اتفاق المخرج وتباين الصفة إذ التاء من حروف الهمس والمطبق من حروف الاستعلاء فأبدل من التاء حرف استعلاء من مخرج المطبق، واختيرت الطاء لكونها من مخرج التاء».[٢]

وقد جاءت معالجة المحدثين من علماء اللغة لقضية المماثلة الصوتية أكثر وضوحًا تلمس ذلك في حديث الدكتور/ محمد حسن جبل عن صيغة افتعل، فقد قال في صيغة افتعل: فاء الكلمة ساكنة وبعدها التاء الزائدة، وسكون فاء الكلمة يعني أنه ليس هناك فاصل بينهما وبين التاء (الحركة تفصل) فإذا كانت الفاء حرفًا يضاد التاء في صفاتها ثقل النطق

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٣٤/٤، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) التصريح بمضمون التوضيح خالد الأزهري ٧٣٩/٢ دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

الدقيق لفاء الكلمة والتاء معًا، فيتخلصون من هذا الثقل بإبدال التاء حرفًا يناسب فاء الكلمة.

فالطاء أبدلت من التاء إبدالا مطردًا إذا كانت فاء افتعل أحد أحرف الإطباق وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء نحو: اصطبر واضطرب واطرد واظطلم، والأصل: اصتبر واضترب واطترد واظتلم.

والعلة في هذا الإبدال: أن هذه الأحرف مستعلية فيها إطباق وتفخيم والتاء حرف مهموس غير مستعل وهو رقيق فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه، فأبدلوا من التاء طاء؛ لأنهما من مخرج واحد، وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت، ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم.(١)

ومن ثم فقد علل القدماء والمحدثون لهذه المماثلة التي تأثرت فيها التاء بأصوات الإطباق بتحقيق الانسجام الصوتي عن طريق تقريب مسافة الخلف بينهما وعمل اللسان من وجه واحد؛ لأن حروف الإطباق فيها من الإطباق والاستعلاء ما ليس في التاء، هذا والحروف المذكورة مجهورة عدا الصاد، بينما التاء مهموسة، فتحولها إلى الطاء يترتب عليه اقتصاد في المجهود العضلي الذي تبذله أعضاء النطق وخفة اللفظ وسهولته، وانسجام أصواته.(٢)

---

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤٦/١٠ عالم الكتب بيروت دت، وخصائص اللغة العربية تفصيل وتح د/ محمد حسن جبل، ص٨٣.

(٢) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص١٩٤، ١٩٥.

وقبل أن يغادر قلمي هذه السطور فإنني أستدرك حقًا لا يمكن إغفاله وهو: ميل العربية إلى التخفيف فقد كان الهدف الأسمى من الإبدال ههنا هو: تقريب الحرف من الحرف وأن يكون العمل من وجه واحد ومن ثم التخفيف والاقتصاد في المجهود العضلي الأمر الذي يبرز جمال العربية المتمثل في الانسجام الواضح بين نظامها الصوتي ونظامها الصرفي.

ومما لا شك فيه أن المخرج الصوتي قد أدى دورًا محوريًا في قضية إبدال تاء الافتعال مما دفع الدكتور/ كمال بشر إلى القول بإبعاد دراسة قضية تاء الافتعال من الدرس الصرفي مع إلحاقها بالدراسة الصوتية فلقد اقترح أن نبعد موضوعات معينة من الدرس الصرفي ونلحقها بدراسة الأصوات، من ذلك أوزان الفعل الثلاثي، وصيغ جمع التكسير، وبعض ألوان من الإبدال كالذي يحدث لتاء الافتعال إذا جاءت بعد حرف من حروف الإطباق: (الصاد والضاد والطاء والظاء).[١]

غير أن الدكتور/ عبده الراجحي كان له رأي مخالف لرأى الدكتور/ كمال بشر في مسألة تاء الافتعال فهو يقر بقاء دراستها في المستوى الصرفي قائلا: «أما تاء الافتعال التي تأتي بعد حرف الإطباق فإن العرب على حق في جعلها في ميدان الصرف؛ لأن تاء الافتعال-شأنها شأن كل الزيادات التي تزاد على الفعل المجرد- إنما هي وحدة صرفية تؤدي إلى معانٍ نحوية، ولقد رأوا أن هذه التاء التي انقلبت (طاء) تؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها تاء الافتعال غير المنقلبة، فتناولوها تناولا صرفيًا بالإضافة إلى التناول الصوتي».[٢]

(١) دراسات في علم اللغة د/ كمال بشر، ٢/ ١٠٢-١٠٧ دار المعارف-مصر- ١٩٧٠م.
(٢) فقه اللغة في الكتب العربية د/ عبده الراجحي ص١٢٢، ١٢٣.

والذي تطمئن إليه النفس: هو الإبقاء على دراسة قضية تاء الافتعال في الدراسة الصرفية مع التنبيه على أن العلة في إبدال تاء الافتعال علة صوتية صرفة؛ بغية عدم إرباك الموروث العلمي، وحفاظًا على البناء المتماسك للتراث العلمي المتتابع للأجيال العلمية التي درست هذه الأبواب ضمن الدرس الصرفي ومن ثم فإن ظاهرة المماثلة الصوتية تشير بوضوح إلى الدور المحوري الذي يؤديه المخرج الصوتي في التقعيد الصرفي الأمر الذي يكشف النقاب عن التناغم بين أنظمة اللغة المختلفة.

الإدغام الشمسي

هناك نوع آخر من الإدغام يظهر فيه أثر المخرج الصوتي هو الإدغام الشمسي؛ أن يقع بعد لام التعريف أحد حروف الهجاء الآتية:

(الطاء والثاء والصاد والراء والتاء والضاد والذال والنون والدال والسين والظاء والزاي والشين واللام).

وقد جمعها صاحب التحفة في أوائل كلم هذا البيت:

طِبْ ثم صِلْ رَحِمًا تَفُزْ ضِفْ ذا نِعَمْ ∴ دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ

فإذا وقع حرف من هذه الأحرف الأربعة عشر بعد لام (أل) وجب إدغامها إدغامًا شمسيًّا، وتسمى اللام: باللام الشمسية، وعلامة ذلك خلو اللام من السكون ووضع شدة على الحرف الذي بعدها.(١)

وإذا أنعمت النظر في هذا الإدغام لاحظت أن المخرج الصوتي يعد المعول عليه في تحقيق هذا النوع من الإدغام؛ فهو بمثابة السبب الرئيس في إبدال اللام حرفًا من نوع الحرف الذي يليها.

فسبب إدغام اللام في هذه الحروف المشار إليها آنفًا تماثلها مع اللام وقربها من أكثر الحروف الباقية في المخرج والصفة.

وسميت اللام مع هذه الحروف شمسية كما سمي إدغامها شمسيًا تشبيهًا بالشمس والحروف التي تليها بالنجوم، بجامع خفاء كل عند الآخر وعدم ظهوره معه.(٢)

---

(١) غاية المريد في علم التجويد لعطية قابل نصر، ص٨٤، ٨٥، الطبعة السابعة بتصرف.

(٢) الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ص٤٢، ٤٣ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

فمن الملاحظ أن اللام تتحول إلى صوت مماثل لما بعدها حين يتقارب المخرجان، وتحتفظ بشخصيتها حين يتباعد المخرجان[١].

ومما لا شك فيه أن اللام تربطها بالحروف التي تدغم فيها إدغامًا شمسيًا علاقة صوتية وثيقة، فمن الثابت صوتيًا أن مجموعة: (اللام والراء والنون) تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين، فهي جميعًا ليست شديدة، أي: لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة.[٢]

كما أن الإدغام يكون الاختيار الصوتي الأمثل عند التقاء اللام بالراء، فإدغام اللام في الراء إذا تواليا أحسن من بيانها؛ لأنهما من موضع واحد تقريبًا، وذلك مثل: اشغل رحبة، وأنهل رحيقًا، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .[٣]

في قراءة من لم يسكت على لام (بل).[٤]

وقد أرجع الدكتور/ محمد حسن جبل إدغام لام التعريف في حروف طرف اللسان –على الرغم من أن أكثرها ليس مجانسًا– إلى كثرة الاستعمال.[٥]

---

(١) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ص٣٨٩.

(٢) الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس ص٦٤.

(٣) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٤) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص١٤٩.

(٥) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص ٢٣٢.

لكن الأمر اللافت للنظر أن إدغام حروف الإدغام الشمسي في اللام لا يقتصر على اللام المُعَرِّفة فقط، وإنما تدغم في اللام إذا كانت لغير التعريف كلام (هل وبل) أدغمت في معظم الحروف القريبة منها، مثل: (هَلْ تَعْلَمُ- هَلْ ثُوِّبَ- بَلْ سَوَّلَتْ- بَلْ طَبَعَ الله- بَلْ ضَلُّوا- بَلْ ظَنَنْتُمْ- بَلْ زُيِّنَ- هَلْ نَدُلُّكُمْ- رُسُل رَبِّك- يَفْعَلُ ذَلِكَ).(١)

من خلال هذه الإطلالة على الإدغام الشمسي يمكنك أن تلاحظ الدور الكبير الذي يؤديه المخرج الصوتي في تحقيق هذا النوع من الإدغام.

(١) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص٢٠١.

المخرج الصوتي وأثره في الأحكام التجويدية

مما لا شك فيه أن للمخرج الصوتي أثرًا ظاهرًا في تحقق معظم الأحكام التجويدية لما يمثله من قيمة صوتية في هذا المجال سواء من حيث قرب المخرج أو بعده، ولا أبالغ إذا قلت: إنه يمثل العامل الرئيس في تحققها، يمكنك أن تلمس هذا الأثر إذا أنعمت النظر في الأحكام التالية:

١- **الإظهار**: لغة: البيان.

واصطلاحًا: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة ظاهرة في الحرف المظهر.(١)

أو احتفاظ النون بكل صفاتها الفارقة دون أدنى تأثر بالصوت الذي يليها.(٢)

حروفه:

حروف الإظهار الحلقي ستة وهي: (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) وقد جمعها العلامة الجزري في قوله:

همز فهاء ثم عين حاء ∴ مهملتان ثم غين خاء

---

(١) صفحات في علوم القراءات د/ أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، ص٢٤٨، المكتبة الإمدادية الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، وهداية القارئ إلى تجويد كلام الباري: عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي ١٥٩/١ مكتبة طيبة – المدينة المنورة – الطبعة الثانية.

(٢) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢١٢.

فإذا وقع حرف من هذه الأحرف الستة بعد النون الساكنة –سواء في كلمة أو كلمتين أو بعد التنوين، ولا يكون إلا من كلمتين– وجب الإظهـــار، ويسمى إظهارًا حلقيًا.

أما تسميته إظهارًا؛ فلظهور النون الساكنة والتنوين عند ملاقاة أحد هذه الأحرف الستة، وأما تسميته حلقيًا؛ فلأن أحرفـــه الســـتة تخـــرج مـــن الحلق.[١]

ومن أمثلته مع النون الساكنة والتنوين:

١- (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ)[٢]

٢- (أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم)[٣]

٣- (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَر)[٤]

٤- (كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ)[٥]

٥- (عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَار)[٦]

٦- (وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيم)[٧]

---

(١) غاية المريد في علم التجويد لعطية قابل نصر، ص٥٤، والعميد في علم التجويد لمحمـــود بن علي بسة المصري، تح/ محمد الصادق قمحاوي ص١٨ دار العقيـــدة – الإســـكندرية – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـــ ٢٠٠٤م.

(٢) الأنعام، من الآية ٢٦.

(٣) مريم/ من الآية ٥٨.

(٤) الكوثر، الآية ٢.

(٥) البقرة، من الآية ٢٨٥.

(٦) التوبة، من الآية ١٠٩.

(٧) النور، من الآية ١١.

٧- (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد)[١]

٨- (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)[٢]

٩- (وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ)[٣]،[٤]

وإذا تأملت وأنعمت نظرك في الإظهار الحلقي ظهر لك جليًا أثر المخرج الصوتي ودوره الفاعل في تحقق هذا الحكم التجويدي المتمثل في بعد المخرج، فسبب الإظهار ههنا هو التباعد الذي بين أحرف الإظهار ومخرج النون.[٥]

وقد أضاف الدكتور/ عبد الفتاح البركاوي سببًا آخر هو أنه لا يترتب على إظهار النون (وهو الأصل) أدنى مشقة عندما يليها أحد هذه الأحرف، إذ إن الهواء عندما يعاق عند طرف اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى فإنه يرتد ليتسرب من التجويف الأنفي، فإذا أردنا بعد ذلك النطق بحرف حنجري أو حلقي، فإن المنطقة التي يعاق فيها الهواء تكون خلف تجويف الأنف فلا يحدث حينئذ أي نوع من التداخل من الصوتين.[٦]

---

(١) فصلت، من الآية ٤٢.

(٢) الحجر، من الآية ٤٧.

(٣) البقرة، من الآية ٢٧٢.

(٤) انظر: أمثلة أخرى في المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل ص٢٣٥.

(٥) فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد: صفوت محمود سالم ٧٢/١ دار نور المكتبات – جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

(٦) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢١٣، ٢١٤.

وأوضح سيبويه: أن أحرف الإظهار الحلقي لم تكن على درجة واحدة في تحقق هذا الحكم التجويدي مشيرًا إلى أن بعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف، أي: أنهم يخفون النون مع الغين والخاء كما يخفونها إذا وليتها القاف.

هذا ما سجله النحاة عن الفصحاء من العرب، أما موقف أهل الأداء والمقرئين فقد كان انعكاسًا صادقًا لذلك إذا اتفق جميع القراء على إظهار النون إذا وليتها همزة أو هاء أو عين أو حاء، فإذا وليتها غين في نحو قوله تعالى: (وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ)[١]

أو خاء في نحو قوله ﷻ: (وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ)[٢]

فإن جمهور الفقهاء يظهرونها ولم يقرأ بالإدغام سوى أبي جعفر، كما نقل الإخفاء –أيضًا– عن قالون راوية نافع؛ قارئ أهل المدينة.[٣]

وقد نسب الدكتور/ عبد الفتاح البركاوي إخفاء النون الساكنة مع الغين والخاء إلى أهل المدينة، مستندًا إلى أن نافعًا كان قارئ أهل المدينة، كما أن أبا جعفر كان أيضًا من قراء المدينة.[٤]

إلا أن اللافت للنظر في إخفاء النون مع الغين والخاء مرجعه إلى المخرج الصوتي، فقد أوضح النحاة وأهل الأداء السبب الصوتي الذي يدعو

---

(١) الحجر، من الآية ٤٧.

(٢) البقرة، من الآية ٢٧٢.

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٤، ومقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢١٤، ٢١٥ بتصرف يسير.

(٤) مقدمة في أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢١٥.

إلى إخفاء النون عند بعض العرب والقراء إذا وليتها غين أو خاء وهو قرب مخرجها من اللسان.(١)

فالدراسات الحديثة تشير إلى أن مخرج هذين الصوتين هو: الحنك الأقصى أو ما يسمى بالطبق ومن ثم فهما من حروف الفم كالقاف، بل هما أدخل في الفم التي قيسا عليها عند القدماء.(٢)

٢- **الإخفاء**

الإخفاء في اللغة: الستر، تقول: أخفيت الشيء، أي: سترته.

وفي الاصطلاح: هو عبارة عن النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول وهو هنا النون الساكنة والتنوين.(٣)

أو احتفاظ النون ببعض الصفات الفارقة وتخليها عن البعض الآخر.(٤)

---

(١) الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٤، ومقدمة في أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢١٥.

(٢) دراسات في علم اللغة د/ كمال بشر ٦٦/١ دار غريب للطباعة والنشر دت، وعلم الأصوات د/ كمال بشر، صـ ١٨٥، ١٨٦، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠م، ومقدمة في أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوي ص٢١٥.

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة: لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ٣٧٨/١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، وغاية المريد ص٦٦.

(٤) مقدمة في أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوي ص٢٢١.

طريقة الإخفاء:

أن تجعل اللسان في نطق النون الساكنة والتنوين لا يصل إلى سقف الحنك بل يقترب منه فحسب.

وفي هذه الحالة فإن جل هواء النفس يخرج من الأنف وبعضه من الفم.(١)

ويترتب على ظاهرة إخفاء النون احتفاظها بصفة الأنفية أو بالغنة، ولكنها تتخلى عن صفة المخرج الخاص بكونها صوتًا أسنانيًا لثويًا(٢)، أما فيما يتعلق بصفة الجهر وهي الصفة الأساسية الثالثة للنون فإن النون تفقدها ولا يتبقى منها سوى الغنة، وقد أكدت الدراسات الحديثة، ذلك خاصة إذا تلا النون حرف مهموس من حروف الفم: كالكاف أو التاء إذا يلحق التهميس هنا الصامت الأنفي: (النون أو الميم) على هيئة احتكاك أنفي، وذلك حسب نوعية الصامت اللاحق وخاصة في الأداء القرآني.(٣)

حروف الإخفاء:

حروف الإخفاء: خمسة عشر حرفًا، وهي: (الصاد والذال، والثاء، والكاف، والجيم، والشين، والقاف، والسين، والدال، والطاء، والزاي، والفاء، والتاء، والضاد والظاء).

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص ٢٣٧، وينظر هـ (١) من الصفحة نفسها.

(٢) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٢١، ٢٢٢ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: دراسة السمع والكلام سعد مصلوح ص٢٠٧ عالم الكتب –القاهرة– ١٩٨٠ بتصرف، ومقدمة في أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوي ص٢٢٢، ٢٢٣.

وقد جمع بعض الناظمين حروف الإخفاء الخمسة عشر في أوائل كلمات البيت التالي:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما ∴ دم طيبًا زد في تقى ضع ظالمًا

فإذا وقع حرف من هذه الحروف بعد النون الساكنة سواء كان متصلا بها في كلمتها أم منفصلا عنها، أو بعد التنوين ولا يكون إلا من كلمتين كما هو مقرر وجب إخفاؤهما.(١)

ومن أمثلته مع النون الساكنة والتنوين:

١- قوله تعالى: (إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ)(٢)

٢- وقوله تعالى: (يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ)(٣)

٣- وقوله تعالى: (وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا)

٤- وقوله تعالى: (وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ)(٤)

٥- وقوله تعالى: (لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)(٥)،(٦)

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة: لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ٣٧٨/١، ومقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٢٥.

(٣) سورة طه، من الآية ٨٠.

(٤) سورة الواقعة، ٢٩.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ١٩٨.

(٦) للاستزادة ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص٢٣٧، و مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٢٥، ٢٢٦.

والباحث المنصف بإمكانه أن يلاحظ الدور الكبير الذي يؤديه المخرج الصوتي في تحقق ظاهرة إخفاء النون الساكنة والتنوين عند حروف الفم – المشار إليها آنفًا– يظهر هذا الدور في أن النون الساكنة والتنوين لم يقربا من هذه الحروف الخمسة عشر مثل: قربهما من أحرف الإدغام، حتى يدغما، ولم تبعد النون الساكنة والتنوين من هذه الحروف مثل بعدهما عن حروف الإظهار؛ فيظهرا، فهما لم يأخذا القرب الموجب للإدغام، ولم يأخذا صفة البعد الموجب للإظهار، ومن هنا فقد أعطيت النون الساكنة والتنوين عند الحروف الخمسة عشر السابقة حكمًا متوسطًا بين الإظهار والإدغام، هذا الحكم المتوسط هو الإخفاء.(١)

ومما لا شك فيه أن دراسة حكم الإخفاء تكشف النقاب عن ميل العربية إلى التخفيف، وقد جاء التخفيف ههنا في صورة إخفاء النون الساكنة والتنوين إذا وليهما حرف من حروف الفم سالفة الذكر، فالذي دعا إلى الإخفاء: هو التماس الخفة؛ نظرًا لكثرة دوران هذه الحروف واستعمالها في الكلام، وقد سوغ ذلك قرب مخرج هذه الحروف من مخرج النون، يفهم هذا من كلام سيبويه، فقد قال: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفًا خفيًا مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم؛ لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع، أي: (الخياشيم) كالعلم بها، وهي: من الفم؛ لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم»(٢)

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة: لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ٣٧٩/١، وغاية المريد ص٦٦.

(٢)ينظر: الكتاب لسيبويه، ٤/ ٤٥٤، و مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٢٦، ٢٢٧ بتصرف.

المماثلة الجزئية (الإقلاب)

الإقلاب لغة: تحويل الشيء عن وجهه بأن يجعل البطن ظهرًا، والظهر بطناً.

واصطلاحًا: جعل حرف مكان آخر مع مراعاة الغنة، والإخفاء في الحرف الأول.(١)

أو قلب النون الساكنة ميمًا مخفاة قبل الباء مع بقاء الغنة الظاهرة.

ويبدو أن هذه الغنة: هي غنة الميم لا غنة النون، وقد نقل إجماع القراء على ذلك.(٢)

ويتحقق الإقلاب إذا وقعت النون الساكنة والتنوين قبل الباء حيث يصير كل منهما ميمًا مخفاة.(٣)

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

١- **قوله تعالى**: (قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ)(٤)

٢- **وقوله تعالى**: (فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا)(٥)

٣- **وقوله تعالى**: (سَمِيعُۢ بَصِيرٌ)(٦)

---

(١) العميد في علم التجويد: محمود بن علي بسة المصري ص٢٦.
(٢) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٣٢.
(٣) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص٢١٦ بتصرف يسير.
(٤) سورة البقرة، من الآية ٣٣.
(٥) سورة النمل، من الآية ٨.
(٦) سورة الحج، من الآية ٦١.

كيفية الإقلاب:

كيفية الإقلاب كما يظهر من السطور السابقة، تتحقق بأمور ثلاثة، وهي:

١- قلب النون الساكنة، أو التنوين ميمًا.

٢- الميم في الباء.

٣- الغنة مع ذلك الإخفاء، مع ملاحظة أن هذه الغنة هي: غنة الميم لا غنة النون.(١)

والمتأمل في ظاهرة الإقلاب يمكنه ملاحظة الأثر الكبير للمخرج الصوتي في تحقق هذه الظاهرة، فالسر في هذا الإقلاب هو: أن النون الساكنة والتنوين عند ملاقاتها لحرف الباء يتعذر الإدغام؛ لثقل في النطق، وذلك لما بين النون والتنوين وبين الباء من اختلاف في المخرج واختلافهما في الصفة التي تميز النون عن سائر الحروف وهي الغنة، كما يصعب الإخفاء؛ لأن فيه بعض الثقل أيضًا؛ لما بين المخرجين من عدم التناسب.

وهو مما لا يحسن فيه الإظهار؛ للصعوبة التي يجدها الناطق في إظهار النون بكل صفاتها، والانتقال منها فجأة إلى الشفتين حيث ينحبس الهواء بالباء خلف الشفتين؛ لذا تطلب موقع النون أو التنوين قبل الباء قلبهما ميمًا، وهو الصوت الذي يجمع بين صفة النون وهي الأنفية، وبين مخرج الباء (من بين الشفتين).(٢)

---

(١) العميد في علم التجويد: محمود بن علي بسة المصري ص٢٧، و مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ص٢٣٢.

(٢) غاية المريد في علم التجويد لعطية قابل نصر، ص٦٤، و دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان ص٢١٧.

وهنا تشعر بقيمة المخرج الصوتي، وتحس بأهميته في تحقق ظاهرة الإقلاب من وجهين:

أولهما: أن الإقلاب حدث نتيجة الاختلاف في المخرج بين النون الساكنة والتنوين وبين الباء، فالنون من طرف اللسان مع اللثة العليا. أما الباء فهي: من بين الشفتين. والآخر: عند قلب النون الساكنة أو التنوين وقع الاختيار على حرف الميم الذي يتفق مع الباء في المخرج الصوتي، فالباء والميم يخرجان من بين الشفتين.

كما يظهر لك بوضوح جمال لغتنا العربية في ميلها إلى التخفيف، ذلك التخفيف المتمثل في إحداث الانسجام بين الصوتين المتجاورين النون والباء، والذي يتحقق من خلال قلب النون ميمًا مخفاة. وذلك من باب تقريب الصوت من الصوت. وعد الدكتور/ أحمد مختار عمر: ظاهرة الإقلاب من قبيل المماثلة الجزئية، وذلك حين لا يتطابق الصوت مع الآخر، مثل: انبعث، التي تنطق النون فيها ميمًا تحت تأثير الباء الشفوية (فنتيجة ن+ب هي: م+ب، وليس ب+ب)..... وإذا أدى عامل المماثلة إلى انتقال صوت من فونيمه الذي ينتمي إليه إلى فونيم آخر، كان التغيير من النوع المتطرف، كما إذا انتقل صوت النون إلى الميم تحت تأثير الباء في: (انبرى)، وهو: صوت يكون في مواقع أخرى متميزًا distinct عن النون، كما في: مال ونال، وهذا التعديل يهتم به اللغويون إذا كان لا يوقع المتكلمين في ورطة دلالية، أما إذا حدثت هذه الورطة، فينشأ في اللغة ما يعتبره العلماء حالة وبائية وهي ظاهرة المشترك اللفظي.[١]

(١)دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ص٣٧٩، ٣٨١.

حسن تأليف الكلمة

أجمع الرعيل الأول من علماء العربية: على أن مقياس حسن الألفاظ هو تأليفها من أحرف متباعدة المخارج، تلاحظ هذا في قول الخليل: «إن العين والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية؛ لقرب مخرجيهما».[١]

كما أفصح ابن جني عن هذا المقياس بقوله: «أما إهمال ما أهمل، مما تحتمله قسمه التركيب في بعض الأصول المتصورة، أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال وبقيته ملحقة به، ومقفاة على إثره. فمن ذلك: ما رفض استعماله؛ لتقارب حروفه، نحو: سص وطس، وظث، وثظ، وخش، وشض، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه»[٢]

كما قال في باب تدافع الظاهر: «هذا نحو من اللغة له انقسام، فمن ذلك استحسانهم لتركيب ما تباعدت مخارجه من الحروف، نحو: الهمزة مع النون، والحاء مع الباء، نحو: آن ونأى، وحب وبح، واستقباحهم لتركيب ما تقارب من الحروف، وذلك نحو: صس وسص، وطث وثط. ثم إنا من بعدُ نراهم يؤثرون في الحرفين المتباعدين: أن يقربوا أحدهما من صاحبه ويدنوه إليه، وذلك نحو قولهم في سويق: صويق، وفي مساليخ: مصاليخ، وفي السوق: الصوق، وفي اصتبر: اصطبر، وفي ازتان: ازدان، ونحو ذلك

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد، ٣/٥.
(٢) الخصائص لابن جني ١/ ٥٤.

مما أدني فيه الصوتان أحدهما من الآخر؛ مع ما قدمناه: من إيثارهم لتباعد الأصوات؛ إذ كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه»[١]

فإذا أنعمت النظر في أقوال الخليل بن أحمد وابن جني: ظهر لك جليًا الدور الذي يؤديه المخرج الصوتي في بناء الكلمات؛ إذ هو المعول عليه في استحسانهم اللفظ واستقباحهم له.

* السر في اشتراط تباعد مخارج أصوات الكلمة

ويبدو السر في اشتراطهم تباعد مخارج أصوات الكلمة لاستحسانهم إياها: أن الأشياء التي من نوع واحد إذا اختلفت جزئيًا بحيث يوجد في هذا ما يفقد في ذاك، فإنها قد تأتلف وتتسق تداخلا وتكاملا، ولكنها إذا تماثلت فإنها تتناظر وتتناد وقد لا تتداخل. وفي الحروف المتقاربة المخارج –إذا تجاورت– شيء كهذا، فإن الالتزام بنطق كل منها من مخرجه يشبه حينئذ مشي المقيد؛ إذ ما يكاد اللسان –مثلا– يفارق موضعه في نطق الحرف حتى يعود إلى الموضع نفسه تقريبًا لينطق الحرف التالي من المخرج نفسه.[٢] أو من قريب منه. بينما التأليف من حروف متباعدة المخارج فيه تنويع قد يضاف إليه اختلاف الصفات، فيحدث الائتلاف ويخف النطق بسبب ذلك التنوع، كما أن هذا الاختلاف يبرز ملامح الكلمة ويوضح صورتها.[٣]

لكن اللافت للنظر أن هناك رأيًا آخر يقلل من أهمية المخرج الصوتي ودوره في تأليف الكلمة، ومن ثَم استحسان اللفظ أو استثقاله. فابن الأثير

(١) الخصائص لابن جني ٢/ ٢٢٧.

(٢) وردت بلفظ نفس المخرج، والصواب: المخرج نفسه. ينظر: خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق د/ محمد حسن جبل، ص٦٣ .

(٣) خصائص اللغة العربية تفصيل وتح د/ محمد حسن جبل، ص٦٣.

يقول: «إن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام يحسن ما يحسن من الألفاظ وقبح ما يقبح، فهو يرى أن استحسان الألفاظ واستقباحها إنما هو قبل اعتبار المخارج، لا بعده».[١]

وعلى الرغم من اقتناع البلاغيين بأن السبب في تنافر أحرف الكلمة وثقلها على اللسان وفي الأذن يرجع إلى قرب مخارج الحروف أو بُعدها بعدًا شديدًا، إلا أن المعول عليه عندهم في هذه القضية هو الذوق السليم والحس الصادق.

فمع إقرارهم أنه لا يمكن إنكار ما لمخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من أثر في ثقل الكلمة وخفتها إلا أنه ينبغي أن يكون المعول عليه في ذلك هو الذوق الصحيح، فنحن نرى الكلمة قد تألفت من حروف متقاربة وليست ثقيلة نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٢] فلا ثقل في كلمة (أعهد) مع قرب مخرج الهمزة والعين والهاء.

وكما في قولنا: (ذقته بفمي) فالباء والفاء والميم: أحرف شفوية متقاربة ولا ثقل فيها. فكون قرب مخارج الحروف أو تباعدها موجبًا للثقل والتنافر، ليس مطردًا، ولذا كان المعول عليه هو الذوق السليم، والحس الصادق.[٣]

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تح د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة ١٧٣/١ دار نهضة مصر –القاهرة– دت بتصرف.

(٢) سورة: يس، من الآية ٦٠.

(٣) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د/ بسيوني عبد الفتاح بسيوني ١٤/١، ١٥ مكتبة وهبة –القاهرة– دت.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد رأى ابن الأثير: أن اللفظ الحسن قد يجيء في المتقارب المخارج، فقد قال: «ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج متقاربة، وهي من وسط اللسان بينه وبين الحنك، وتسمى ثلاثتها: الشجرية، وإذا تركب منها شيء من الألفاظ جاء حسنًا رائقًا، فإن قيل (جيش) كانت لفظة محمودة، أو قدمت الشين على الجيم، فقيل: (شجى) كانت –أيضًا– لفظة محمودة. وقد ورد من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضًا، ولو كان التباعد سببًا للحسن لما كان سببًا للقبح، إذ هما ضدان لا يجتمعان. فمن ذلك أنه يقال: (ملع) إذا عدا، فالميم من الشفة، والعين من حروف الحلق، واللام من وسط اللسان وكل ذلك متباعد، ومع هذا فإن هذه اللفظة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم. ولا يستعملها من عنده معرفة بعلم الفصاحة»[١]

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تح د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة ١/١٧٣، ١٧٤ بتصرف.

تعقيب:

مما لا شك فيه أن المعول عليه في حسن تأليف الكلمة ومدى ائتلاف أحرفها هو تباعد مخارج أصواتها، فكلما تباعدت مخارج أصوات اللفظ حسن اللفظ وخف على اللسان. وذلك للأسباب الآتية:

١- مرحلة إصدار الصوت سابقة على مرحلة سماعه.

٢- صعوبة إصدار الصوت متجاورًا مع أصوات متقاربة المخرج مكونة وحدة كلامية، الأمر الذي يشكل ثقلا على اللسان ناهيكَ عن استثقال اللفظ في الأسماع.

٣- التناقض الواضح في كلام البلاغيين الذين أقروا بأن سبب تنافر حروف الكلمة هو تقارب مخارج أصواتها

ولكن قد تتألف ألفاظ من أصوات متقاربة المخارج أو متحدتها ولكنها ألفاظ قليلة جدًا أو نادرة في العربية كما وصفها د/ محمد حسن جبل.(١)

فمن الثابت صوتيًا أن السر في مثل هذه الألفاظ يرجع إلى أسباب معينة أدت إلى استحسانها وعدم استثقالها أهمها:

١- أن يتقدم الحرف القوي على الحرف الضعيف، تلاحظ هذا في الألفاظ التي جمعت بين حرفين من أحرف الحلق، نحو: أهل، وأحد، وأخ، وعهد، وعهر؛ فقد تقدمت الهمزة على الهاء والحاء والخاء، كما تقدمت العين على الهاء. وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم

(١) خصائص اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص٦٤.

الأقوى منهما، نحو: أرل، ووتد، ووطد،[١] فقد تقدمت الراء على اللام في (أرل)؛ لأنها أقوى منها، وكذلك تقدمت التاء والطاء على الدال؛ لأنهما أقوى من الدال.

وهنا يبرز دور الصفات الصوتية في استحسان الألفاظ القليلة التي تكونت من حروف متقاربة المخارج وعدم استثقالها في الوقت نفسه.

٢- اختلاف الشخصية الصوتية لكلا الحرفين متقاربي المخرج، تشعر بذلك في تجاور العين والهاء في كلمة (عهد)، فهناك اختلاف بين الحرفين من حيث الصفات الصوتية، فالعين صوت مجهور متوسط، وهو أنصع الحروف العربية جرسًا، أما الهاء فهي مهموسة رخوة مهتوتة.[٢] الأمر الذي أحدث نوعًا من التوازن في بناء الكلمة.

ومن ثم فلا غرابة في اجتماع الجيم والشين في مثل: (جيش وشجى) فالجيم صوت مجهور شديد مقلقل.

بينما الشين: صوت مهموس رخو متفش.[٣] وهنا أيضًا يبرز دور الصفات الصوتية في استحسان الألفاظ القليلة، التي تألفت من أحرف متقاربة المخارج.

---

(١) الخصائص لابن جني ١/ ٥٤ بتصرف.

(٢) ينظر: علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، والمختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص١٠٤، وأصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، ص١٧٥.

(٣) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٠٤، ١٠٦.

٣- إذا فصل بين الحرفين متقاربي المخرج بفاصل، وقد أشار إلى ذلك الخليل بن أحمد بقوله: «القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلفان إلا بفصل لازم»(١)

والمؤلفات العربية أثبتت صحة ما ذهب إليه الخليل من اشتراط وجود فاصل بين القاف والجيم لاجتماعهما في الكلمة العربية، ففي التهذيب روى عمر عن أبيه قال: القطج: إحكام فتل القطاج، وهو القلس، وقال في موضع آخر: قطج إذا استقى من البئر بالقطاج.

أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: الجورق: الظليم.(٢)

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: «جلق رأسه وجلطه إذا حلقه، قال والجلقة: الناقة الهرمة.»

وحكى ابن الفرج عن بعض العرب أنه قال: «فتح الله عليك الجلقة والجلعة: أي المكشر»(٣)

وفي اللسان: جلق، بالتشديد وكسر الجيم، موضع بالشام معروف، قال ابن بري: دلق: اسم دمشق.(٤)

---

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد، ٦/٥.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، تح/ عبد العظيم محمود/ (ق ج ر) ٣٠٧/٨، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٣) السابق، ٣٠٧/٨. (ق ج ل)

(٤) لسان العرب لابن منظور ٤٤٧/١ (جلق) دار صادر -بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

بإمكانك أن تلاحظ الأمر نفسه في تجاوز النون والراء في الكلمة العربية، فمن الثابت صوتيًا أنه يمتنع في الأسماء العربية أن يكون أولها نون تليها راء؛ وذلك لأن الراء أقوى من النون، فالقياس اللغوي أن يبدأ الاسم بالحرف القوي وهو الراء، يليه صوت النون، وهذا ما أشار إليه ابن جني بقوله: «فأما الراء واللام والنون، فمتى تقدمت الراء على كل واحدة منهما، جاز ذلك نحو: (ورل) و (أرل) و (رنة) و (رند) ولو قدمت واحدة منهما على الراء لم يجز؛ لأنها أقوى منهما، فينبغي إذا تدانى الحرفان أن يبدأ بالأقوى منهما، فيعتمد عليه، ويتلوه الآخر تبعًا له».(١)

غير أن الواقع اللغوي يثبت تأليف بعض الأسماء العربية الأصيلة من النون والراء، ولكن تم الفصل بينهما بفاصل، قال الليث: «النيرب النميمة، ورجل نيرب: ذو نيرب، أي نميمة. وقد نيرب فهو ينيرب، وهو خلط القول، كما تثير الريح التراب على الأرض فتنسجه ..... ولا تطرح الياء منه؛ لأنها جعلت فصلا بين الراء والنون».(٢)

وجاء في الشوارد: النيرج: الناقة الجواد.

والنيرج: النمام.(٣)

(١) سر صناعة الإعراب لابن جني، ٢/ ٤٣٢.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، تح/ إبراهيم الإبياري، ١٥/ ٢١٢، ٢١٣ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٣) كتاب الشوارد أو ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصغاني، تح/ مصطفى حجازي، ص١٩٤، طبعة مجمع اللغة العربية –القاهرة– ط٢.

وإنما حسن ههنا تأليف الكلمات المشار إليها آنفًا من أصوات متقاربة المخرج؛ لوجود فاصل بينها ومن ثَم فقد حكم عليها بأنها عربية أصيلة.

٤- دخول السوابق واللواحق.

من الممكن تأليف ألفاظ من أحرف متقاربة المخارج عن طريق دخول السوابق واللواحق، فمن الأول كلمة (أعهد) في قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ)[1]

فالكلمة مكونة من همزة المضارعة +الفعل (عهد)، ومنه أيضًا قولك: بفمي في قولنا: ذقته بفمي، فالكلمة مكونة من حرف الجر (الباء) + فم + الضمير يا المتكلم.

ومن الآخر: قولك: (خلقكم) من تجاور القاف والكاف، فالكلمة مكونة من الفعل خلق+ ضمير الخطاب: (كم).

(١) سورة: يس، من الآية ٦٠.

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

تدور استعمالات الجذر اللغوي: (صقب) حول الدلالة على (القرب) فمن هذا قولهم: (مكان صقب) أي: قريب، وأصقبت دراهم، أي: دنت، وقولهم: أصقبك الصيد فارمه، أي: دنا منك وأمكنك رميه، وقولهم: لقيته مصاقبة، أي: مواجهة.(١)

وفي الاصطلاح: عرفه ابن جني بقوله: «أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني».(٢)

وعرفه الدكتور/ عبد الكريم محمد جبل بقوله: كشف وجه التقارب الدلالي بين الألفاظ المتقاربة في الحروف.

أو دراسة أوجه التقارب في المعنى بين ألفاظ متقاربة الأصوات.(٣)

فللتصاقب في تعريف ابن جني شقان:

أولهما: تقارب الحروف.

والآخر: تقارب المعنى، وهو: سبب في الشق الأول، كما هو واضح من كلام ابن جني.(٤)

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تح: مجموعة من المحققين ٣/١٩٨، ١٩٩ (صقب) دار الهداية، دت، ومن الخصائص الدلالية للغة العربية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، دراسة تحليلية استقرائية للجذور الثلاثية، د/ عبد الكريم حسن جبل ١/ ١٥ دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٨م.

(٢) الخصائص لابن جني، ٢/١٤٦.

(٣) من الخصائص الدلالية للغة العربية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، د/ عبد الكريم حسن جبل، ١/١٨، ٢٥.

(٤) السابق، ١/١٦.

أما تعريف د/ عبد الكريم جبل فقد استطاع صاحبه من خلاله أن يفرق بين التصاقب وظاهرة الرمزية الصوتية والترادف؛ فالرمزية الصوتية: تعني بدراسة العلاقة بين أصوات اللغة ودلالاتها، حيث يرى بعض الباحثين: أن الصوت يحاكي –أحيانًا– دلالته، أو يوحي بها.....، ومن ثم فالبحث في: (الرمزية الصوتية) يواشج البحث في ظاهرة (الإمساس) لا ظاهرة (التصاقب)؛ لأنه يعني بالبحث في العلاقة بين أصوات ودلالات بعينها في حين يختص البحث في التصاقب بدراسة أوجه التقارب في المعنى بين ألفاظ متقاربة الأصوات.(١)

أما الفرق بين التصاقب والترادف، فيمكن القول بتحقق ظاهرة التصاقب بين لفظين –أو أكثر– يستلزم ما يلي:

١– أن يكون ثمة تقارب بين الأصوات المتناظرة في المواقع، والمكونة لهذين اللفظين.

٢– أن يكون بين هذين اللفظين تقارب في الدلالة، وليس تماثلا –أو شبه تماثل– فدلالتا اللفظين مختلفتان، إلا إنهما متقاربتان من حيث إنهما من بابة واحدة.

وأما الترادف، فينتفي فيه الشرطان، أما التقارب الصوتي فلا يقع إلا مصادفة، وأما التقارب الدلالي، فلا محل له؛ لأن المفترض في الألفاظ المترادفة أنهما ذات معنى واحد، لا معان متعددة.(٢)

---

(١) السابق ١/٢١، ٢٥.

(٢) السابق، ١/٢٦.

ومما لا شك فيه: أن للمخرج الصوتي أثرًا عميقًا في تحقق ظـاهرة التصاقب، وهذا ما أصّله ابن جني بقولـه: أن تتقـارب الحـروف لتقـارب المعاني، وأكده في تناوله لأمثلة التصاقب، التي بلغت عنده ثلاثـة وثلاثـين مثالا، فهو يقصد بتقارب الحروف: حصول تقارب –أو اتحاد– في مخارجها، وهذا ما يتضح من استقراء المجموعات الصوتية التي عقد التصاقب بينها، وهي:

الهمزة والهاء.

الهمزة والعين.

الحاء والعين.

الخاء والغين.

الجيم والشين.

التاء والدال والطاء.

الزاي والسين والصاد.

الراء واللام والنون.

الباء والفاء.

الباء والميم.

الواو والياء.

الحاء والهمزة.

الهمزة والعين.[1]

(١) الخصائص لابن جني ٢/ ١٤٦– ١٥٢، ومن الخصائص الدلالية للغة العربيـة تصـاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ١٦/١، وهامش ٤ من الصفحة نفسها.

فقد مثّل ابن جني لظاهرة التصاقب بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[١] **أي: تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى: تهزهم هزًا. والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك.**[٢]

المتأمل في كلام العلامة/ ابن جني: يشعر بالأهمية الصوتية الكبيرة للمخرج الصوتي في تحقق التصاقب بين لفظي: (الأز، والهز)، والتي يمكنك إدراكها في قوله: (والهمزة أخت الهاء)، فهو يقصد بهذا اتحادهما في المخرج، فهما من الحلق عند القدماء. حنجريتان عند المحدثين.[٣]

أما قوله: وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، فهو يقصد أن الهمزة أقوى من الهاء –من حيث الصفات– في صفتي الجهر والشدة.[٤]

---

(١) مريم، من الآية ٨٣.

(٢) الخصائص لابن جني ٢/ ١٤٦.

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٦٠، وعلم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص١٢٢، ١٢٣، والأصوات اللغوية والأداء القرآني د/ عيد محمد الطيب، ص٤٤.

(٤) ينظر: علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين، ص ١٢٢–١٢٤.

ملامح التصاقب عند ابن جني

لظاهرة التصاقب عند العلامة/ ابن جني ملامح معينة تتمثل فيما يلي:

١- يقرر ابن جني تحقق خصيصة التصاقب في العربية بين جذرين أو أكثر على ثلاثة أنحاء، هي:

النحو الأول: وقوع التصاقب في حرف واحد فقط، وهذا الحرف قد يكون موقعه فاء الكلمة مثل (أسف، عسف)، أو عينها مثل: (جرف- جلف- جنف)، أو لامها مثل: (قرت- قرد- قرط).

النحو الثاني: وقوع التصاقب في حرفين مثل: (جلف- جرم).

النحو الثالث: وقوع التصاقب في الأحرف الثلاثة للجذر اللغوي مثل: (ختل- غدر).

٢- أنه يجب أن يتوفر شرطان في استعمالات التصاقب، حتى يمكن إدخالها في مفهوم التصاقب، كما هو متحقق عند ابن جني، وهذان الشرطان هما:

الأول: أن تكون هذه الاستعمالات مشتقة من جذور متفارقة، ومن ثَم فإنه لا يدخل في مفهوم التصاقب بحث وجه التقارب الدلالي بين استعمالين مشتقين من الجذر اللغوي نفسه.[١]

(١) وردت بلفظ: (نفس الجذر اللغوي)، والصواب: (الجذر اللغوي نفسه)؛ لأن لفظ نفس من ألفاظ التوكيد المعنوي فحقه التأخير. ينظر: من الخصائص الدلالية للغة العربية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، د/ عبد الكريم حسن جبل، ١٨/١.

والآخر: أن يكون ثمة تناظر في مواقع الأصوات المكونة لهذه الاستعمالات، فضلا عن تقاربها في المخارج، وهذا مثل: بحث وجه التصاقب بين (الختل) و (الغدر)؛ إذ إنهما مشتقان من جذرين متفارقين (ختل- غدر)، كما أن أصواتهما متناظرة -ومتقاربة- فالخاء والغين كل منهما فاء كلمته، والتاء والدال كل منهما عين كلمته، واللام والراء كل منهما لام كلمته.

٣- فرق ابن جني تفريقًا مهمًّا بين البحث في التصاقب والبحث في إمساس الألفاظ أشباه المعاني الذي عقد له بابًا تاليًا لباب التصاقب فرق بينهما بقوله: -بعد عقد التصاقب بين: (قرت وقرد)- فأما لم خص هذا المعنى بذا الحرف، فسنذكره في باب يلي هذا بعون الله تعالى.(١)

هذا بالإضافة إلى أن المقصود بتقارب الحروف حصول تقارب -أو اتحاد- في مخارجها.

بعد هذه الإطلالة على ظاهرة تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: يمكنك أن تؤمن إيمانًا صادقًا بحقيقة لغوية، مضمونها: أن المخرج الصوتي يعد ذا أثر عميق في تحقق ظاهرة التصاقب، ولا أبالغ إذا قلت إنه المفسر لها.

(١) الخصائص لابن جني ٢/ ١٤٦-١٥٠، و من الخصائص الدلالية للغة العربية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، د/ عبد الكريم حسن جبل، ١/١٦-١٨ بتصرف.

القياس

القياس: هو رد ما لم يرد فيه نص إلى ما ورد فيه نص.(١)

أو: مقارنة كلمات بكلمات وصيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال؛ رغبة في التوسع اللغوي، وحرصًا على اطراد الظواهر اللغوية.(٢)

فالقياس يحفظ للغة قواعدها وينمي ألفاظها؛ لأنه يحفظ اللغة من سوء الاستعمال، إذ هو أحد أساليب النمو الذاتي للغة.(٣)

ومن ثَم فإذا وجدنا مصدرًا لم يذكر فعله، ذكرنا فعله بالقياس، وإن وجدنا فعلا لم يذكر بابه التمسنا بابه قياسًا، وإذا وجدنا مذكرًا ولم نجد مؤنثه ذكرنا مؤنثه بالقياس، وإذا وجدنا العرب يشتقون وزنًا خاصًا للدلالة على محترف الحرفة، مثل: (فعال) كنجار وحداد وخباز، اشتققنا هذا الوزن من المهن التي لم تكن موجودة قديمًا قياسًا على الأوزان القديمة فتقول: سباك وخراط ونقاش.(٤)

وقد بدأ الأخذ بالقياس في عهد الصراع النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، فلكل مدرسة منهجها في القياس، فالبصريون أجازوا القياس على كثرة الشيوع والذيوع.

---

(١) علم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٣١.

(٢) من قضايا فقه اللغة العربية د/ عبد الفتاح أبو الفتوح ص٩٥ مطبعة الأمانة –القاهرة– الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٣) علم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٣١.

(٤) السابق، ص١٣٢.

أما الكوفيون فقد أقاموا القياس على كل ما روي عن العرب، قل وروده في كلامهم أو كثر.(١)

وإذا أنعمت النظر في ظاهرة القياس بإمكانك أن تلاحظ أن أثر المخرج الصوتي فيها يبدو محدودًا يظهر في قول ابن جني: «اعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل، ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن، وأنه منها على أقوى بال، ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده، فأعطوا الرفع في التثنية الألف، والرفع في الجمع الواو، والجر فيهما الياء، وبقي النصب لا حرف له فيماز به، جذبوه إلى الجر فحملوه عليه دون الرفع؛ لتلك الأسباب المعروفة هناك. ففعلوا ذلك ضرورة، ثم لما صاروا إلى جمع التأنيث حملوا النصب -أيضًا- على الجر، فقالوا: ضربت الهندات، كما قالوا: مررت بالهندات، ولا ضرورة هنا؛ لأنهم كانوا قادرين على أن يفتحوا التاء، فيقولوا: رأيت الهندات، فلم يفعلوا ذلك مع إمكانه وزوال الضرورة التي عارضت في المذكر عنه، فدل دخولهم تحت هذا -مع أن الحال لا تضطر إليه- على إيثارهم واستحبابهم حمل الفرع على الأصل وإن عري من ضرورة الأصل».(٢)

أراد ابن جني بالأسباب التي حملتهم على جذب النصب إلى الجر في حالة إعراب المثنى وجمع المذكر السالم تلك الأسباب التي أوضحها الأشموني بقوله: «وحمل النصب على الجر فيهما -يقصد المثنى وجمع

(١) ينظر: وقفات تأملية في فقه اللغة العربية د/ يحيي محمود الجندي ص٣٨٦، ٣٨٩، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
(٢) الخصائص لابن جني ١/١١١.

المذكر السالم- لمناسبة النصب للجر دون الرفع؛ لأن كلا منهما فضلة، ومن حيث المخرج؛ لأن الفتح من أقصى الحلق والكسر من وسط الفم، والضم من الشفتين»[١]

فهذه المسألة وإن كانت تدل على الدور الذي يؤديه المخرج الصوتي في ظاهرة القياس وإن كان دورًا ثانويا إلا أنها تبرز أثر المخرج الصوتي في التقعيد النحوي فقد توحدت علامتا النصب والجر في حرف الياء على أساس صوتي بحت هو تقارب المخرج بين ما يمثل النصب وهو الفتح، وما يمثل الجر وهو الكسر.

لأن الدرس الصوتي الحديث يثبت صدق العلة المشار إليها آنفًا، فللنطق بألف المد يندفع الهواء من الرئتين؛ ليمر بين الوترين زامرًا لتضايقهما، ويستمر إلى تجويف الفم إلى اللسان، حيث يرتفع أقصى اللسان قليلا وتكون الشفتان في وضع محايد.

وللنطق بالياء يندفع الهواء من الرئتين ويمر بين الأوتار الصوتية زامرًا لتضايقهما حتى إذا بلغ تجويف الفم ارتفع وسط اللسان أكبر ارتفاع وانفرجت الشفتان.[٢]

ولما كانت للضمة مخرج واو المد وسائر صفاتها، وللفتحة مخرج ألف المد وسائر صفاتها، وللكسرة مخرج ياء المد وسائر صفاتها[٣]، فإن الألف وما يمثلها أقرب إلى الياء وما يمثلها من الواو.

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١/ ٦٦ دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، والخصائص لابن جني ١/ ١١١ هامش ١.
(٢) المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، ص١٧٦.
(٣) السابق، ص١٧٧.

كما يظهر هذا الأثر في بناء الفعل الماضي على الضم حال إسناده إلى واو الجماعة في مثل: ضربوا، فإنك تلاحظ تغير بناء الفعل من البناء على الفتح إلى البناء على الضم، والعلة في التغيير ههنا تكمن في المناسبة الصوتية بين الضمة وحرف الواو.

قال الشيخ/ خالد الأزهري: «وكذلك ضمة الباء في ضربوا عارضة لمناسبة الواو»[١]

فالواو من بين الشفتين عند القدماء.[٢] أما عند المحدثين فهي: من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، وربما أوقع القدماء في الخطأ – أنها من بين الشفتين– أن الشفتين تستديران حال نطقها.

ومن ثَم فلا يناسبها الفتح الذي ينتج من أقصى الحلق، وإنما يلائمها الضمة التي تتكون بارتفاع أقصى اللسان إلى آخر حد ممكن نحو: الحنك الأعلى مع استدارة الشفتين.[٣]

من خلال هذه الإطلالة على ظاهرة القياس يبدو لك واضحًا جليًا التناغم بين النظام الصوتي للعربية والنظام النحوي من خلال الدور الذي يقوم به المخرج الصوتي في تحديد العلامة الإعرابية وتغيير نوع البناء.

---

(١) التصريح بمضمون التوضيح خالد الأزهري ١/٥٠.

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٥٣.

(٣) ينظر: أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار هلال ص١٣٤، ١٤٣.

التعريب

التعريب: هو أن تتفوه العرب باللفظ الأجنبي على أسلوبها.

أو: اقتباس كلمة من لسان أعجمي وإدخالها في اللسان العربي.(١)

وقد جرى سيبويه على تسميته إعرابًا.(٢)

فالتعريب أحد أساليب النمو الخارجي للغة، فقد احتاجت العرب إلى إدخال ألفاظ جديدة من لغات أخرى، وجعلتها جزءًا من نظامهم اللغوي الذي يتفاهمون به.(٣)

لكن اللافت للنظر أن ظاهرة التعريب قد شهدت اختلافًا في رؤى علماء العربية، فمنهم من لم يشترط فيها سوى الاستعمال، مثل: سيبويه والشهاب الخفاجي الذي عرف التعريب بقوله: نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية.(٤)

ومنهم من اشترط إضفاء الصبغة العربية على اللفظ الأعجمي مثل: الجوهري، فقد قال في تعريف التعريب: هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها.(٥)

---

(١) فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص٤٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ودراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٤٨، دار الشرق العربي- بيروت الطبعة الرابعة، دت.

(٢) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٤٨.

(٣) ينظر: مذكرة في فقه اللغة د/ عبد الله ربيع محمود، ص١٨٢.

(٤) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٤٨.

(٥) مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية د/ عبد الفتاح البركاوي ص١٤٩ الجريس للطباعة –القاهرة- الطبعة الثانية، ودراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٤٨، ٣٤٩.

وجاء الجواليقي ليؤكد شرط الجوهري بقوله: «اعلم أنهم كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضًا. والإبدال لازم؛ لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب»[١]

كلام الجواليقي يلقي الضوء الذي يؤديه المخرج الصوتي في ظاهرة التعريب.

يبدو هذا الدور جليًا في غير موضع، فالكلمة الأعجمية المشتملة على حرف الجاف الفارسية، وهو ما كان بين الجيم والكاف (ǧ) فإنه يبدل في العربية جيمًا عربية لقربها منه، فقالوا في تعريب كورب: (لفافة الرِّجل)، جورب بتغيير الجاف الفارسية إلى الجيم، وربما أبدلوا الجاف الفارسية قافًا؛ لأنها قريبة أيضًا، وربما أبدلوها كافًا أيضًا فقالوا في تعريب: كربه (بمعنى الحانوت) أو متاع حانوت البقال قربق وكربق.[٢]

وأبدلوا من صوت (p.v) الفارسي وهو الحرف الذي بين الباء والفاء أو الباء المشددة المشوبة بالفاء (پ p) –وهذه الباء تحدث بشد قوي للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط بعنف.[٣]– فاء مرة وباء مرة؛ لأنهما قريبتان منها، إذ من المعروف أن لا فرق بين ال (p) والباء سوى أن

---

(١) علم الدلالة د/ إبراهيم أبو سكين ص١٩٤، ١٩٥.

(٢) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٥٤، و مذكرة في فقه اللغة د/ عبد الله ربيع محمود، ص١٨٧، و فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص٤٤ وهامش ٢ من الصفحة نفسها.

(٣) فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص٤٤ هـ٥، والمظاهر الطارئة على الفصحى د/ محمد عيد ص١٢٢، عالم الكتب– القاهرة، دت.

الأول مهموس والآخر مجهور، كما أن كلا (p) والفاء حرف شفوي، سوى أن الأول انفجاري، والآخر احتكاكي؛ ولهذا كله قالوا مكان (pirind): فرندا مرة وبرندا مرة أخرى.(١)

وقد أشار الدكتور/ إبراهيم أبو سكين إلى أن حرف الباء المشددة المشوبة بالفاء لا يوجد له نظير في العربية ولكنه خاص باللغات الهندية الأوربية، وينقل إلى العربية بأقرب الحروف نطقًا إليه وهو الفاء.(٢)

كما أبدلوا من الهاء الفارسية المتطرفة جيمًا عربية، فقالوا في تعريب كوسه: كوسج؛ وذلك أن هذه الهاء لا تثبت في كلام الفرس إذا وصلوا؛ بل تحذف وتبدل همزة مرة، وياء مرة أخرى؛ ولما كانت الجيم العربية أقرب الأصوات إلى الياء جعلوها مكانها، فقالوا في تعريب بنده (العبد) بندج.(٣)

فمن الثابت صوتيًا: أن صوت الجيم يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.

وكذلك الياء تخرج من المخرج نفسه.(٤)

وربما أبدلوا من هذه الهاء المتطرفة قافًا، فقالوا في تعريب كوسه – الذي لا شعر على عارضيه– كوسق.(٥)

---

(١) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٥٤.
(٢) علم الدلالة د/ إبراهيم أبو سكين ص٢١٤.
(٣) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٥٤، و مقدمة في فقه اللغة د/ عبد الفتاح البركاوي ص١٩٣ الطبعة الثانية الجريس للطباعة –القاهرة–، وفقه اللغة د/ صلاح رواي ص٢٥٧ وهـ ٣ من الصفحة نفسها.
(٤) علم الصوتيات د/ إبراهيم أبو سكين ص١٠٦، ١٠٧.
(٥) دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي ص٣٥٤، وفقه اللغة د/ صلاح رواي ص٢٥٧ هامش ٤.

ومما لا شك فيه أن إضفاء الصبغة العربية على اللفظ الأعجمي بات أمرًا ضروريًا؛ لتتمشى اللفظة المعربة مع أوضاع المفردات العربية، وبخاصة إذا اشتملت الكلمة على حرف لا يتفق والحروف العربية.(١)

بيد أن الغالب في الحرف البديل أن يكون قريبًا من الحرف المبدل في المخرج؛ لأن هناك من الكلمات ما غيرت حروفها إلى ما بعد مخرجه.(٢)

وإذا كانت عملية تغيير اللفظ الأعجمي بالصبغة العربية التي تلائم طبيعة اللفظ العربي هي التي تميز الألفاظ المعربة عن سائر أنواع الألفاظ من دخيلة ومولدة فإنها تبقى دليلا على أثر المخرج الصوتي في ظاهرة التعريب، فمن الأهمية بمكان أن يكون هناك توافق في المخرج بين الحرف المغير والحرف البديل.

الأمر الذي يبرز الدور الجوهري الذي يؤديه المخرج الصوتي في تحقق ظاهرة التعريب.

وبعد رحلة قضيتها، بين الترحال بين سطور وصفحات المؤلفات العربية التي تناولت ظاهرة التعريب بالتحليل والتقعيد ظهر لي أن تعريف الدكتور/ عبد الحميد الشلقاني للمعرب الذي يقول فيه: ما هذب من ألفاظ اللغات الأخرى، حتى أخذ شكل العربية وهيئتها وطاع للاشتقاق؛ فجاء من الفعل فاعل، وقد يأتي مفعول، واسم مفعول، وسار في فلك العربية، كما تسير ألفاظ هذه اللغة.(٣)

---

(١) فقه اللغة د/ إبراهيم نجا، ص٧٨، دت.
(٢) من قضايا فقه اللغة العربية د/ عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم ص١١٤.
(٣) مصادر اللغة د/ عبد الحميد الشلقاني ص٢٣٢ مطابع جامعة الرياض بالسعودية ١٩٨٠م، وفقه اللغة د/ صلاح رواي ص٢٥٠.

من أفضل التعريفات للمعرب وترجع أفضلية هذا التعريف إلى أنه يشتمل على الجوانب التالية:

أ- معنى التعريب.

ب- إضفاء الصبغة العربية على اللفظ الأعجمي.

ج- صلاحية اللفظ المعرب للاشتقاق منه.

د- مواءمة اللفظ المعرب للأبنية العربية.

هـ - انصهار اللفظ المعرب في العربية حتى بات وسيلة للتفاهم.

وإن كان قد أغفل البعد الزمني، أي: عصر دخول اللفظ الأعجمي العربية، ومن ثم ينبغي لنا أن نطور هذا التعريف قليلا إلى الصيغة التالية:

ما هذب من ألفاظ اللغات الأخرى خلال عصر الاحتجاج، حتى أخذ شكل العربية وهيئتها وطاع الاشتقاق، وسار في فلك العربية.

فبإضافة البعد الزمني إلى هذا التعريف يتسنى لك التفريق بين المعرب من ناحية والدخيل والمولد من ناحية أخرى.

فالدخيل: هو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير مثل: خراسان- الأكسجين- التليفون.[١]

والمولد: هو ما استعمله المولدون على غير استعمال الفصحاء من العرب.[٢]

أو ما عربه المولدون - الذين لا يحتج بألفاظهم- قديمًا بعد عصر الرواية.[٣]

---

(١) فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص٤٦.
(٢) فقه اللغة د/ علي عبد الواحد وافي ص٢٠٣ دار نهضة مصر للطبع والنشر دت.
(٣) فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين ص٤٦.

خاتمة

وبعد:

فإن مبحث مخارج الأصوات من المباحث المهمة في الدراسة الصوتية؛ لما له من أهمية كبيرة في الدرس اللغوي، جعلت علماء اللغة – قدامى ومحدثين– يولونه اهتمامهم؛ من تصنيف مخارج الأصوات، وبيان الأساس الذي بني عليه، مشيرين إلى أهميته في الدراسة اللغوية بعامة والدراسة الصوتية بخاصة.

وبعد رحلة –ليست بالقصيرة– قضيتُها بين سطور كتب اللغة: استطعت بتوفيق من الله ﷻ أن أكشف النقاب عن دور المخرج الصوتي في تحقق الكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية، مبرزًا دوره في التقعيد الصرفي والنحوي، مشيرًا إلى ميل اللغة العربية إلى التخفيف في معظم ظواهرها.

هذا وقد تمخض البحث عن عدة نتائج أهمها:

١– لم يكتفِ الخليل بن أحمد الفراهيدي بتصنيف الصوامت طبقًا للمخرج، وإنما طبقًا للحيز.

٢– أدركَ الخليل بحسه اللغوي أن الفرق الحاسم بين الصوت الصامت والصوت الصائت، يتمثل في اعتراض مجرى الهواء أو عدم اعتراضه.

٣– الأساس الذي يقوم عليه تصنيف مخارج الأصوات عند علماء اللغة – القدامى والمحدثين– فسيولوجي بحت.

٤- أكد البحث على قيمة الصوت بالنسبة للغة؛ إذ هو قوامها، ومادتها الطبعية، فضلا عن أثره الواضح في أنظمتها الصوتية والصرفية والدلالية.

٥- للمخرج الصوتي أثر ظاهر في تحقق الكثير من الظواهر اللغوية، مثل: (الإبدال- فتح الأحرف الحلقية الساكنة- الإدغام- المماثلة الصوتية- الإدغام الشمسي- الإظهار- الإخفاء- المماثلة الجزئية "الإقلاب"- حسن تأليف الكلمة- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني- القياس- التعريب).

٦- يعد المخرج الصوتي المفسر لبعض الظواهر اللغوية، مثل: (الإبدال- فتح الأحرف الحلقية الساكنة- حسن تأليف الكلمة- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني).

٧- نبه البحث على الدور الجوهري للمخرج الصوتي في تحقق الكثير من الظواهر اللغوية، مثل: (الإدغام- المماثلة الصوتية- الإدغام الشمسي- الإظهار- الإخفاء- المماثلة الجزئية- التعريب).

٨- أكد البحث على ميل العربية في معظم ظواهرها إلى التخفيف، ولم يتخذ التخفيف شكلا واحدًا، وإنما تعددت صوره، منها:

أ- الاقتصاد في المجهود العضلي الذي تبذله أعضاء النطق، وتحقيق الانسجام بين أصوات اللفظ، كما في المماثلة الصوتية.

ب- مناسبة الحركة للصوت، كما في فتح الحرف الحلقي الساكن.

ج- إخفاء النون الساكنة والتنوين عندما يليهما أحد حروف الإخفاء الحقيقي؛ طلبًا للخفة، نظرًا لكثرة استعمال حروف الفم.

د- إحداث الانسجام بين الصوتين المتجاورين، كما في قلب النـــون ميمًا مخفاة قبل الباء في ظاهرة المماثلة الجزئية.

هـــ- تغيير الحرف غير الملائم للنطق في العربية إلى آخر مناسب، مثل: قلب الجاف الفارسية جيمًا أو قافًا أو كافًا عند تعريب اللفظ الأعجمي.

٩- قد تتألف قليلة جدًا في العربية مـــن أصـــوات متقاربـــة المخـــارج أو متحدتها، ويرجع السر في استحسان هذه الألفاظ، وعدم استثقالها إلـــى أسباب معينة أهمها:

أ- أن يتقدم الحرف القوي على الحرف الضعيف، مثل: (أهل- أحد- أرل- وطد).

ب- اختلاف الصفات الصوتية للأحرف متقاربة المخارج، في الوحدة الكلامية، كما في لفظ: {عهد} وجيش.

ج- إذا فصل بين الحرفين متقاربي المخرج بفاصل مثـــل: القطـــج، والجورق، والجلقة، والنيرب.

د- دخول السوابق واللواحق. فمن الممكن تأليف ألفاظ من أحـــرف متقاربة المخارج عن طريق دخول السوابق واللواحـــق، فمـــن الأول لفظ: {أعهد} وقولك: بفمي، في قولنا: ذقته بفمي، ومـــن الآخر تجاور القاف والكاف في قولك: {خلقكم}.

١٠- على الرغم من اقتناع البلاغيين بأن السبب في تنافر أحرف الكلمة، وثقلها على اللسان، وعدم استحسانها، يرجع إلى تقارب مخارج أصواتها، إلا أن المعول عليه عندهم في قضية حسن تأليف الكلمة هو الذوق السليم، والحس الصادق.

١١- أكد البحث على أن المعول عليه في حسن تأليف الكلمة: هو تباعد مخارج أصواتها.

١٢- للمخرج الصوتي دور في تحديد العلامة الإعرابية، وتغيير نوع البناء؛ وهو إن كان دورًا محددًا إلا أنه يبقى شاهدًا على التناغم بين النظام الصوتي والنظام النحوي للغة العربية.

وبعد، فهذا بحثي أقدمه مشفوعًا بحمد الله -تعالى- على توفيقه وتيسيره، وكل ما فيه من صواب إنما هو من توفيق الله ﷻ وما فيه من خطأ إنما هو من سوء فكري، وحسبي أني اجتهدتُ، والكمال لله ﷻ وحده، وأسأله -سبحانه- أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله إضافةً للمكتبة العربية، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- أصوات الجيم والضاد والطاء والقاف بين القدامى والمحدثين د/ محمد عبد الحفيظ العريان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٢- أصوات اللغة العربية د/ عبد الرحمن أيوب – مطبعة الكيلاني الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
٣- أصوات اللغة العربية د/ عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٤- الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس – مكتبة الانجلو –القاهرة- ١٩٩٥م.
٥- الأصوات اللغوية والأداء القرآني د/ عيد محمد الطيب- دار أصداء المجتمع – القصيم بريدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٦- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية، دت.
٧- التصريح بمضمون التوضيح خالد الأزهري- دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٨- التفكير الصوتي عند الخليل د/ حلمي خليل- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية الطبعة الأولى ١٩٨٨.
٩- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
تهذيب اللغة للأزهري- طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٠- خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق د/ محمد حسن جبل- دار الفكر العربي – القاهرة – دت.

١١- الخصائص لابن جني تحقيق/ محمد علي النجار- المكتبة العلمية دت.
١٢- دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين محمد قناوي، ود/ أحمد طه سلطان - مكتب الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
١٣- دراسات في علم اللغة د/ كمال بشر- دار المعارف-مصر- ١٩٧٠م.
دراسات في علم اللغة العام د/ كمال بشر- دار غريب للطباعة والنشر دت.
١٤- دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ص٢٨٤، دار العلم للملايين، -بيروت- الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٩م.
١٥- دراسات في فقه اللغة محمد الأنطاكي- دار الشرق العربي بيروت- الطبعة الرابعة.
١٦- دراسة السمع والكلام سعد مصلوح- عالم الكتب- القاهرة ١٩٨٠م.
١٧- دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر- عالم الكتب- القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م
١٨- سر صناعة الإعراب لابن جني- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢٠- شرح المفصل لابن يعيش- عالم الكتب بيروت دت
٢١- صفة جزيرة العرب للهمداني- ليدن ١٨٨٤م،
٢٢- صفحات في علوم القراءات د/ أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي- المكتبة الإمدادية الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣- علم الأصوات د/ كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة ٢٠٠٠م.
٢٤- علم الصوتيات د/ عبد العزيز علام، عبد الله ربيع محمود - مكتبة الرشد ناشرون –الرياض- المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٢٥- علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم أبو سكين- مطبعة الإبراهيمي بدسوق- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
٢٦- علم اللغة د/ إبراهيم أبو سكين- دار الزهراء للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٧- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران- دار المعارف – الإسكندرية ١٩٦٢م
٢٨- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د/ بسيوني عبد الفتاح بسيوني - مكتبة وهبة –القاهرة- دت.
٢٩- العميد في علم التجويد لمحمود بن علي بسة المصري، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي- دار العقيدة – الإسكندرية – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٣٠- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام- الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م
٣١- غاية المريد في علم التجويد- عطية قابل نصر- الطبعة السابعة- دت.

٣٢- فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد: صفوت محمود سالم- دار نور المكتبات – جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٣٣- فقه اللغة د/ إبراهيم أبو سكين- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٣٤- فقه اللغة د/ إبراهيم محمد نجا- دت.
٣٥- فقه اللغة د/ علي عبد الواحد وافي دار نهضة مصر للطبع والنشر دت.
٣٦- فقه اللغة في الكتب العربية د/ عبده الراجحي- دار الصحابة طنطا- الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٣٧- فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموها د/ صلاح رواي- مطبعة الهاني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
٣٨- في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس- مكتبة الانجلو الطبعة التاسعة ١٩٩٥.
٣٩- كتاب الإبدال لابن السكيت، تحقيق د/ حسين محمد شرف- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٤٠- كتاب الشوارد للصغاني أو ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصغاني، تحقيق/ مصطفى حجازي، طبعة مجمع اللغة العربية –القاهرة- الطبعة الثانية دت.
٤١- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال دت.
٤٢- الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٤٣- لسان العرب لابن منظور- دار صادر -بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٤٤- اللهجات العربية في التراث د/ أحمد علم الدين الجندي- الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.
٤٥- اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/ عبد الراجحي- دار المعارف ١٩٦٩م
٤٦- اللهجات العربية نشأة وتطورًا د/ عبد الغفار هلال- مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٤٧- اللهجات العربية وتليها القراءات القرآنية د/ إبراهيم محمد أبو سكين- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٤٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة- دار نهضة مصر -القاهرة- دت.
٤٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني- وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٥٠- المختصر في أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل- التركي للطباعة - طنطا دت
وطبعة مكتبة الآداب- القاهرة- الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٥١- المخصص لابن سيده، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٥٢- مذكرة في فقه اللغة د/ عبد الله ربيع محمود دت.
٥٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق/ فؤاد على منصور- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٥٤- مصادر اللغة د/ عبد الحميد الشلقاني- مطابع جامعة الرياض بالسعودية ١٩٨٠م
٥٥- المظاهر الطارئة على العربية د/ محمد عيد- عالم الكتب القاهرة دت.
٥٦- المقتضب للمبرد تحقيق د/ محمد عبد الخالق عضيمة- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – ١٩٩٤م.
٥٧- مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي – ٢٠٠٢م
٥٨- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية د/ عبد الفتاح البركاوي- الجريسي للطباعة –القاهرة- الطبعة الثانية دت.
٥٩- مقدمة لدراسة فقه اللغة د/ محمد أحمد أبو الفرج- دار النهضة العربية – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٦م.
٦٠- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس- الطبعة السادسة.
٦١- من الخصائص الدلالية للغة العربية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، دراسة تحليلية استقرائية للجذور الثلاثية، د/ عبد الكريم حسن جبل- دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ١٩٩٨م.
٦٢- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق/ إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين- دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
٦٣- من قضايا فقه اللغة العربية د/ عبد الفتاح أبو الفتوح- مطبعة الأمانة –القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٦٤- المنهج الصوتي في البنية العربية د/ عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

٦٥- الموسوعة القرآنية المتخصصة: لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦٦- نهاية الأرب لأبي العباس أحمد القلقشندي- العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.

٦٧- هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري: عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي- مكتبة طيبة – المدينة المنورة – الطبعة الثانية دت.

٦٨- الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٦٩- وقفات تأملية في فقه اللغة العربية د/ يحيي محمود الجندي- الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

الدوريات:

١- مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠ هـ.

تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٣٥٩٣
٢	مقدمة	٣٥٩٦
٣	مخارج الأصوات عند الخليل	٣٦٠٢
٤	مخارج الأصوات عند ابن جني	٣٦٠٥
٥	مخارج الأصوات عند المحدثين	٣٦٠٩
٦	الأساس الذي بني عليه تصنيف مخارج الأصوات	٣٦١٠
٧	ملاحظات على مخارج الأصوات عند علماء العربية	٣٦١٢
٨	أثر المخرج الصوتي وأثره في الظواهر الصوتية	٣٦١٩
٩	ظاهرة الإبدال	٣٦١٩
١٠	فتح الأحرف الحلقية الساكنة	٣٦٢٧
١١	الإدغام	٣٦٣٤
١٢	المماثلة الصوتية	٣٦٣٨
١٣	الإدغام الشمسي	٣٦٤٣
١٤	الإظهار	٣٦٤٦
١٥	الإخفاء	٣٦٥٠
١٦	المماثلة الجزئية	٣٦٥٤
١٧	حسن تأليف الكلمة	٣٦٥٧
١٨	تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني	٣٦٦٦
١٩	القياس	٣٦٧٢
٢٠	التعريب	٣٦٧٦
٢١	خاتمة	٣٦٨١

تم بحمد الله